جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بالقاهرة

# معالم اللهجات العربية

تأليف

أ.د / عبد الحميد محمد أبو سكين

الأستاذ فى الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

**الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .**

"وبعد"

فهذه دراسة للهجات العربية قدمت فيها وصفا تفصيليا للهجاتنا العربية والسمات الخاصة بها حتى يكون الباحث على بينة من أمرها والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم.

# تمهيـــد

## لمحة تاريخية عن اللغات السامية :

الفصيلة التى تنسب إليها اللغة العربية تسمى الفصيلة السامية لأن معظم المتكلمين بها من نسل سام بن نوح عليه السلام كما ورد فى الفصل العاشر من سفر التكوين . وهذه التسمية تنقضها الدقة العلمية ، ولكن العلماء قد قبلوها على علاتها لشهرتها، وذيوعها وسهولتها .

وقد انتشرت هذه الفصيلة فى آسيا وبعضها فى أفريقيا ، وقد بقى بعضها ، وانقرض البعض الآخر فيما انقرض من اللغات القديمة ، ويدخل فى هذه الفصيلة السامية اللغات الآتية :

اللغة البابلية الآشورية والتى يطلق عليها الأكدية ، واللغة العبرية ، واللغة الفينيقية ، والأرامية الشرقية والأرامية الغربية ، والعربية الشمالية ، والجنوبية والأثيوبية أو الحبشية ، وكذلك اللهجات المتفرعة من تلك اللغات .

ولا ريب أن صلة اللغات السامية بعضها ببعض صلة واضحة ، وأن هذه الصلة أقوى من الصلة الملحوظة بين اللغات الهندية الأوربية ، وليس ما بين هذه اللغات من اختلاف بأقوى مما بين اللغات اللاتينية .

## أقسام اللغات السامية :

تنقسم اللغات السامية إلى قسمين :

القسم الشرقى وهو ما يعرف بالأكادية أو المسمارية وهو يشمل البابلية والآشورية ، والقسم الغربى ، وهو ينقسم بدوره إلى : شمالى وجنوبى ، والشمالى ينقسم إلى كنعانية وأرامية .

فالكنعانية تشمل : الكنعانية القديمة ، والمؤابية ، والفينيقية ، والعبرية القديمة.

والأرامية تشمل : مجموعة لهجات أرامية شرقية ، ومجموعة لهجات آرامية غربية.

والقسم الجنوبى ينقسم إلى: العربية الشمالية ، والعربية الجنوبية ، فالعربية الشمالية : بائدة وباقية . فالبائدة تشمل :

الثموديه ، والصفوية واللحيانية.

والباقية تشمل: الحجازية والتميمية :

وأما الفرع الجنوبى أو ما يسمى بالعربية الجنوبية فيشمل : المعينية ، السبئية ، والحضرية ، والقتبانية ، والحميرية .

هذه هى شجرة اللغات السامية: ومما هو جدير بالذكر أن من هذه اللغات لغات انقرضت ولم يبق لها أثر إلا فى النقوش ، كاللغة الأكادية بفرعيها البابلى والآشورى .

ومن اللغات التى اندثرت وذهب أثرها الفينيقية .

ولا تزال اللغة العربية تحتل قلب الجزيرة العربية الموطن الأصلى للغات السامية؛ وقد فتحت طريقها منذ الفتح الإسلامى فى بيئات متعددة فى الشرق والغرب وقد أدى هذا إلى تغلبها على ما كان لتلك البيئات من لغات ونشأ عن هذا الصراع اللهجات العربية الحديثة فى مصر وغيرها ، وهى لهجات بعدت عن اللغة الفصحى بتأثير اللغات الأجنبية كالتركية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية واليونانية .

على أن بقاء القرآن الكريم كتاب العربية المقدس قد ساعد على بقاء تلك اللغة لغة علم وأدب ، كما كانت فى عصرها الذهبى تقريبا .

ولولا هذا لأصبحت اللهجات العربية الحديثة كاللهجات اللاتينية ولنسى المسلمون العربية الفصحى ، كما نسيت الأمم الرومانية اللغة اللاتينية .

## بين اللغة واللهجة

اللغة خاصة من خواص الإنسان بما هو حيوان ناطق كما رأى ذلك فيلسوف العصر الحديث "ديكارت" فاللغة خاصية الإنسان حيث إنه حيوان

ناطق أى مفكر وبما هو حيوان مدنى اى اجتماعى فهى إذن تميزه عن أى كائن آخر من حيث إنها تعينه على أن يتناول الأشياء والأشخاص تناولا يختلف عن تناول الحيوان لها إذ أن الحيوان يتناول الأشياء بالحواس وأما الإنسان فيتناولها مع الحواس بشئ خصه الخالق به ، وبميزة تفرد بها الإنسان وهى نطقه تفكيره ، وبما أن هذا التناول يفيد الإحاطة والشمول فهو حينئذ يكون هو التناول الصحيح .

فاللغة منحة عظمى خص بها الله الإنسان وأعطاها له لتكون سبيله لمعرفة نفسه وما فيها من أسرار أولا ثم ثانيا معرفة العالم الكبير من حوله وما به من أسرار تجعل الإنسان يخر راكعا لخالقه ومنشئه من العدم .

وديكارت حين استأنف الفكرة الفلسفية التى تصورها أرسطو بتعريفة للإنسان بأنها حيوان ناطق أضاف إليها أن اللغة تحقق ناطقية الإنسان الحقيقية بشقيها الفكر والعمل ، ومن ثم تجعله أهلا لأن يكون خليفة الله على الأرض .

إن قدرتنا بواسطة اللغة على تسمية الأشياء تفيد قدرتنا على تناولها بأذهاننا ، وقدرتنا على نوع من الهيمنة عليها ، والبيان والإفصاح والإيضاح عن طريق اللغة تحقيق للناطقية الإنسانية .

وللناطقية ركيزتان ممارسة التفكير ، وممارسة الحياة فى جماعة . ثم إن البيان والإفصاح باللغة خطوة أيضا فى سبيل الكشف عن النفس وعن الغير

وعن الكون ، والكشف فى الحقيقة فعل ، والفعل يرمى إلى التغيير دائما كما يقول بذلك الفيلسوف نشته فى بداية القرن الماضى .

إذا كان الأمر كذلك فاللغة شئ خطير ، فليست اللغة مجرد وسيلة أو آلة للترجمة عن الفكر والاتصال بغيره بل هى قبل ذلك تأكيد لماهيتنا الأصيلة وتزكية لذواتنا فى الحياة الاجتماعية ، ومهمة اللغة فى حياة الإنسان أكبر وأخطر مما يبدو للنظرة السريعة فلا يستطيع الإنسان أن يستغنى عن اللغة ، فإننا جميعا نستعمل اللغة دوما أردنا أم لم نرد .

إننا نتحدث مع أهلنا مع أقربائنا مع أصحابنا وزملائه مع مواطنينا ومع الغرباء عنا بل نتحدث فى بعض الأحيان مع أنفسنا ومع البعداء عنا فى الزمان والمكان ، فاللغة هى مجلى للفكر وترجمان كما يقول الامام محمد عبده .

بل إن اللغة تلازم الفرد فى حياته وتمتد إلى أعماق كيانه وتبلغ إلى أخفى رغباته وخطراته . إنها تجعل من الأمة الناطقة بها كلا متراصا خاضعا لقوانين؛ وإنها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان.

إذا كان هذا هو شأن اللغة وهذا هو حالها فما هو اشتقاقها ؟ وهل هى كلمة عربية أو معربة ؟ وإذا كانت معربة فما الأساس الذى ارتكز عليه القائل بذلك ؟ ثم بعد هذا كله . ما معنى اللغة اصطلاحا ؟ وهل اتفقت أقوال وتعريفات اللغويين أم اختلفت ؟

وعلى أية حال لو رجعنا إلى مصادرنا القديمة وخاصة المعجمات التى بأيدينا نراهم يقولون :

إن كلمة ((لغة)) كلمة عربية أصيلة ، فهى فى رأى الفيروزبادى صاحب القاموس المحيط على وزن (( فعة)) من الفعل لغا يلغو إذا تحدث وجمعها لغات ولغون ولغى . ويقول ابن جنى فى الخصائص : وأما تصريفها (أى اللغة) فهى لغة من لغوت أى تكلمت وأصلها لغة ككرة وقلة وثبه كلها لاماتها واوات لقولهم كروت بالكرة وقلوت بالقلة ولأن ثبة من مقلوب ثاب يثوب وقالوا فيها لغات ولغون ككرات وكرون.

وقيل منها لغى يلغى إذا هدى قال رؤبة .

ورب أسراب حجيج كظم ∴ عن اللغا ورفث التكلم

وكذلك اللغو قال تعالى :" **وإذا مروا باللغو مروا كراما**" أى الباطل. وقال إمام الحرمين فى البرهان : اللغة من لغى يلغى من باب رضى إذا لهج بالكلام وقيل من لغى يلغى .

مما سبق نرى أن أصحاب المعاجم وكذلك اللغويون يرونها كلمة عربية .

ولكن بعض المحدثين يتسائل فيقول : هل كلمة لغة مشتقة من هذا الفعل أو ذاك إنها مأخوذة من ((اللهاة)) وهى اللحمة المشرفة على الحلق (( لسان المزمار)) وقد يعزز هذا الرأى أن الكلمتين متشابهتان فاللام مشتركة بينهما

والهاء والغين من حرف الحلق التى يحل بعضها محل البعض . وأن اشتقاق لغة من لغا أو من لغى ليس جاريا على قياس لغوى .

وهذا الرأى يعززه فوق ما تقدم ما نجده فى كثير من اللغات الأخرى . وهو أن الكلمة الدالة على لغة تدل فى الوقت نفسه على عضو من أعضاء التكلم ففى العبرية تستعمل كلمة سافاة بمعنى لغة وبمعنى شفه ، والشفة كما هو معلوم ومقرر من أعضاء النطق والعبرية أخت العربية .

وكذلك تستعمل اللغة العبرية كلمة لاشون بمعنى لسان ولغة أيضا واللسان من أعضاء النطق .

وإذا تركنا اللغة العبرية إلى لغة أخرى تنتمى إلى فصيلة أخرى غير سامية كاللغة الفارسية مثلا لوجدنا أيضا أن كلمة ((زبان)) بمعنى لغة وبمعنى لسان أيضا .

وكذلك فى اللغة الإنجليزية نجد أن كلمة Tongue تستعمل بمعنى . لغة أيضا .

وهناك رأى آخر مؤداه أن كلمة ((لغة)) ليست عربية أصيلة بل إنها تعريب لكلمة Lagos الإغريقية التى تعنى كلمة أو نكرة ، وربما يؤيد هذا الرأى التشابه الكبير بين الكلمة العربية والكلمة الإغريقية .

ويؤيده أيضا عدم ورود كلمة ((لغة)) بالمعنى المعروف لنا فى القرآن الكريم وإنما عبر عن اللغة بكلمة اللسان ، وكذلك ترد فى الشعر الجاهلى أو الأدب العربى المأثور عن أدباء ما قبل عصر الترجمة عن الإغريقية .

وأول من ذكر هذه الكلمة فى شعره صفى الدين الحلى حين قال :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه ∴ وتلك له عند الشدائد أعوان

فبادر إلى حفظ اللغات وفهمها ∴ فكل لسان فى الحقيقة إنسان

وصفى الدين الحلى هذا كان فى مقدمة شعراء العصر التركى ولد سنة ٦٧٧هـ . وتوفى سنة ٧٥٠هـ أى بعد عصر الترجمة عن اليونانية بما يزيد عن خمسة قرون .

فإذا صح أن كلمة لغة لم تذكر فى الآداب العربية القديمة التى يعتمد عليها ويعتد بها وأنها وردت أول ما وردت فى شعر المتأخرين من العباسيين كان المرجح أنها من الكلمات المعربة التى نقلت إلى اللغة العربية من الإغريقية .

**هذا عن اللغة من الناحية الاشتقاقية .**

**وأما معنى اللغة فى الاصطلاح :**

اختلف العلماء فى تعريف اللغة اختلافاً بيناً طبقاً لمناهج البحث التى يتبعونها فمنهم من يعرفها على أساس عقلى أو نفس ، ومنهم من يعتمد فى

تعريفها على فكرة منطقية أو فلسفية ، ومنهم من يعرفها من ناحية وظيفتها فى المجتمع . وعلى أيه حال هناك أقوال كثيرة فى معنى اللغة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتى :

١- عند علماء النفس: تسمى أية وسيلة للتعبير هما فى النفس لغة ، فاللغة عندهم كل أداة تستعمل لنقل ما يخطر بشعور الإنسان إلى غيره ولذا تنقسم اللغة فى نظرهم إلى حركية وصوتية ورسمية أو خطية ، والصوتية إما لفظية مقطعية ، وإما ساذجة ليست فيها مقاطع واضحة .

فالحركة الدالة على القبول أو الرفض والإشارة باليد أو الرأس او الجسم إلى معنى من المعانى والصياح والبكاء ، والموسيقى ، والرسم ، والتصوير ، والكلمات المنطوق بها أو المدونة ، كل هذه وما يشبهها مما يستعمل لنقل خاطر إلى الغير يسمى (لغة) فى اصطلاح علماء النفس .

وبالنظر فى تلك الأقسام الآنف ذكرها يتبين لنا أنها بهذا الترتيب فى الظهور فى حياة الفرد وحياة النوع على السواء ، فأولها ظهورا اللغة الحركية ، وتليها اللغة الصوتية بنوعيها وآخرها التدوينية .

٢- المدرسة الثانية التى تعرف اللغة بالنظر إلى وظيفتها فى المجتمع تقول فى تعريفها : نظام من رموز ملحوظة عرفية بوساطتها يتعاون ويتعامل أعضاء

يقول أنصار هذه المدرسة فى تعريف اللغة إنها استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الأفكار نقلها من شخص لآخر . ومن أنصار هذه المدرسة العالم الأمريكى سابير ، ويشبهه إلى حد كبير الأستاذ هيرمان بول .

٥- تطلق اللغة على النطق والتكلم وعلى القوة الناطقة كما تطلق على الألفاظ التى يعبر بها المتكلم عما يخالج نفسه من المعانى الآتية إليه من الإحساس والشعور وقوى التفكير ولذا تعرف بأنها العمل الفكرى المتكرر دائما لإبراز الفكر الإنسانى فى أصوات منظمة أو أصوات مختلفة .

٦- ولقد عرفها القدماء أيضا فقالوا : اللغة : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم .

هذا قليل من كثير فى معنى اللغة وعلى أية حال فليس الغرض عند الإنسان المتمدين مقصورا على نقل الأفكار إلى غيره بل إنها تتخذ وسيلة للفكر والفهم وتربية الذوق والخيال ، ومن ثم كان أتم تعريف للغة بمعناها الاصطلاحى . هو أنها ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ويتخذونها أداة للفكر والفهم وتربية الذوق والخيال .

وبعد فهذه تعريفات للغة بمعناها الاصطلاحى فقارنها ببعضها لتختار أحسنها أو لتضع تعريفا آخر بمعونتها طبقا لما يهديك إليه حسك وتفكيرك اللغوى السليم .

# اللهجـــة

## اشتقاقها - تعريفها

اللهجة بإسكان الهاء وقد ورد فتحها ، واللهجة يصح أخذها من لهج بمعنى امتص كقولهم لهج الفيصل ضرع أمه اى امتص ما فيه من اللبن ؛ لأن الإنسان يتلقى اللغة من مخالطيه كما يتلقى الفصيل اللبن من أمه .

كما يصح أخذها من لهج بمعنى أولع وأغرم ، لأن مداومة المتكلم النطق على منحى معين فكأنه أولع بذلك النطق فلم يعدل عنه إلى غيره وكلا الاشتقاقين يناسب المقام الذى نحن بصدده .

واللهجة فى الاصطلاح العلمى الحديث هى مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة معينة ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة .

فاللهجة إذا هى عبارة عن قيود صوتية خاصة تلحظ عند أداء الألفاظ فى بيئة معينة ، وبيئتها هى جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم لهجات كثيرة لكل منها مميزاتها وخصائصها ، ولكنها لابد وأن تشترك جميعها فى مجموعة من الظواهر اللغوية التى تيسر اتصال أفراد هذه البيئات وتعاملهم مع البعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التى تربط هذه اللهجات ، فالعلاقة إذا بين اللغة واللهجة هى علاقة العام بالخاص ، فاللغة أعم من اللهجة إذ أن اللغة عادة تضم كثيرا من اللهجات لكل منها ما

يميزها وجميع هذه اللهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التى تولف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.

والمميزات التى تتميز بها اللهجات هو الاختلاف الصوتى فى أغلب الأمر، كما نجد فى لهجة قيس وتميم وأسد حيث يتجهون إلى الانتحاء بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء. وهو ما يعرف بالإمالة وهى ظاهرة خاصة بالبيئة البدوية التى تقطن وسط وشرقى الجزيرة العربية.

وكذلك الظاهرة اللغوية المنسوبة إلى ربيعة والتى تسمى بالوهم "حيث تضم الهاء من هم" مطلقا، دون نظر لما يسبقها من حركة أو حرف:

وكذلك نرى أن تميما تقول فى فزت "فذد" وكذلك ينطقون بالهمزة عينا.

وكذلك نرى أن بنى سعد ينطقون "الأجلح" وهو الأصلع "الأجله" من هذا يتضح لنا بجلاء أنه الصفات التى تتميز بها اللهجة تكاد تنحصر فى الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، وهذا فى الكثير الغالب.

وقد يرجع إلى بنية الكلمة ونسجها فبنى أسد يقولون فى "سكرى" سكرانه فيلحقون التاء.

وكذلك نرى أن تميما تتم اسم المفعول من الأجوف اليائى كقول الشاعر:

حتى تذكر بيضات وهيجه ∴ يوم الرذاذ عليه الدجن مغيوم

وقد يرجع الخلاف أيضا بين اللهجات إلى المعنى.

كما فى وثب فإنها يقصد منها القفز عند الجمهرة والجلوس عند حمير.

المجموعة الاجتماعية المعينة ، والذى أورد هذا التعريف العالم الأمريكى إدجار ستير تفنت.

فهذه المدرسة تهتم بالجانب الاجتماعى للغة فاللغة عند أصحاب هذه المدرسة حقيقة اجتماعية ونتيجة للاتصال الاجتماعى ، وظيفتها الأساسية التعاون وتسير الأمور المختلفة التى تهم الإنسان كإنسان ، وهى فى الوقت نفسه مدينة فى تطويرها ونموها إلى وجود الجماعات الإنسانية .

٣- والتعريف الثالث لعلماء المنطق فهم يعلقون أهمية كبرى على استعمال اللغة بوصفها وسيلة للتعبير عن الأفكار يقول أحد علماء هذه المدرسة وهو الأستاذ جفونز فى كتابة مبادئ دروس المنطق : إن للغة ثلاث وظائف :

(أ) كونها وسيلة للتوصيل أى توصيل الرغبات والعواطف والأفكار وما شاكل ذلك:

(ب) كونها مساعدا آليا للتفكير .

(جـ) كونها أداة للتسجيل والرجوع (يعنى بذلك لغة الكتابة حين يكتب الإنسان ويدون أفكارها وآراءه ثم يرجع إليها وقت الحاجة إليها ) .

٤- المدرسة الفلسفية :

وكذلك كلمة الهجرس ، والمعاجم تذكر أنها تعنى الفرد عن الحجازيين وتعنى الثعلب عند تميم .

ولكن يجب أن تكون المخالفة الخاصة ببنية الكلمة ونسجها وكذلك الناحية الخاصة بالمعنى قليلة بحيث لا يترتب على ذلك أن تكون اللهجة غريبة على أخواتها بعيدة عنها عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى غريبة على أخواتها بعيدة عنها عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى التى تنسب إلى نفس اللغة لأنه متى كثرت الخلافات الخاصة بالبنية والمعنى بعدت اللهجة عن أخواتها فلا تلبث أن تستقل وتصبح لغة قائمة بذاتها كما شاهدنا تفرع اللغات السامية عن اللغة السامية الأم إذا كانت جميعها لهجات ثم بمضى الزمن وكثرة الصفات والخلافات التى ترجع إلى المعنى والبنية والنسج حتى استقلت كل منها بمجموعة كبيرة جدا من الكلمات ، أضف إلى ذلك ما اختلفت فيه هذه اللغات من صيغ الأفعال وأنواع الجموع وأدوات التعريف وغير ذلك بحيث أصبح يطلق على كل منها لغة بعد أن كانت بادئ ذى بدء لهجة متفرعة ومنبثقة عن اللغة السامية الأم .

من هنا ترى أنه لابد أن تشترك لهجات اللغة الواحدة فى الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها وفى معظم الأسس التى تخضع لها بنية الكلمات وتركيب الجمل .

فإذا اختلفت معانى الكلمات واتخذت أسسا خاصة فى بنية الكلمات وكذلك اتخذت قواعد خاصة مختلفة عما عداها فى تركيب الجمل لا تسمى حينئذ لهجة بل لغة مستقلة وإن ظلت تتصل ببعضها بظواهر لغوية تجعلها تنتمى إلى فصيلة لغوية واحدة .

## الصفات الصوتية التى تؤدى إلى اختلاف اللهجات

وأهم الصفات الصوتية التى تؤدى إلى اختلاف لهجات اللغة الواحدة .

١- اختلاف مخرج بعض الأصوات اللغوية .

٢- اختلاف فى وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات فيترتب على ذلك الخلاف فى نطق الحرف ذاته ، فنرى بعض القبائل ترقق الحرف فى الوقت الذى يكون فيه مفخما عند قبيلة أخرى .

٣- اختلاف فى مقاييس أصوات اللين ، والمراد من اللين عند المحدثين الكسرة بعد الياء والواو بعد الضمة والفتحة بعد الألف .

٤- تباين فى النغمة المصاحبة للكلام .

٥- اختلاف فى قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين تتأثر ببعضها ولذلك تعزى ظاهرة قلب الواو تاء إذا وقعت فاء لافتعل كاتصل واتقى حتى لا تكون عرضة لقلبها إلى صور أخرى نتيجة تعرضها الحركات المختلفة

وذلك عند غير الحجازين أما هم فلا يعبأون بهذا التلاعب فيتركون الواو تتأثر بالحركة السابقة عليها ، فتقلب إلى حروف مجانسة لتلك الحركات .

تلك هى أهم الصفات التى نجد بعضها أو كلها بين لهجات اللغة الواحدة.

وليس من الضرورى أن نجد كل هذه الفروق ممثلة فى لهجات لغة من اللغات بل نجد بعضها فقط.

وعلى قدر شيوع الصفات السابقة تتباعد اللهجات أو تتقارب بعضها من بعض بقدر اشتمالها على الصفات المشار إليها ، فقد نرى للغة الواحدة لهجات متقاربة لا يفرق بين لهجة وأخرى منها سوى صفتين أو ثلاث من تلك الصفات فى حين نجد أن بعض اللهجات متباعدة لا تكاد تستبين للسامعين ولا يكاد يفهمها كل الأفراد الذين ينتمون إللاى لغة واحدة إلا بصعوبة بالغة .

هل يوجد حد أدنى للفروق بين لهجات اللغة الواحدة ؟

إنه من العسير وضع حد أدنى للفروق بين لهجات اللغة الواحدة بحيث إنه لو وجدت تلك الفروق امتازت لهجة عن أختها وقيل هذه لهجة أخرى ومرجع هذا العسر فى وضع هذا الحد الأدنى للفروق التى يترتب عليها وجود لهجات ان عملية النطق كما نعرف ما هى إلا نشاطا عظيما يختلف أداؤه باختلاف الأفراد فى البيئة اللغوية الواحدة ، فلقد ثبت بعد التجارب الدقيقة

التى قام بها العلماء فى المعامل الصوتية أنه لا يكاد يوجد شخصان فى بيئة لغوية واحدة ينطقان نطقا متماثلا تمام التماثل بل لابد أن تلحظ الأذن بعض الفروق الصوتية الدقيقة .

بل إن من العلماء من يؤكد أن المرء نفسه يختلف نطقه بعض الاختلاف فى كل مرة يتكلم فيها وإن اشتركت نفس الكلمات فى قوله ، ومرجع ذلك أن عضلات النطق لا تؤدى عملها بنفس الصورة فى كل مرة .

ولكن مثل هذه الفروق الدقيقة بين المرء ونفسه من وقت لآخر وبين المرء وشخص آخر من نفس بيئته ليست من الأهمية فى الدراسات اللغوية والمعول عليه هو الصفات العامة التى تميز لهجة من أختها ، ويشترك فى هذه الصفات العامة كل أفراد اللهجة الواحدة وتصدر عنهم دون تكلف أو تعسف أو تعمد . من هنا يتضح لنا أنه من العسير تحديد الحد الأدنى الذى به تتميز اللهجات بعضها من بعض.

والذى يمكن أن يقال إنه متى وجدت صفات خاصة وظهر اختلافها عن صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة واتضحت لدى السامعين واشتهرت بينهم أمكن أن يقال حينئذ إنه وجدت لهجة وتميزت عمل عداها ، وتدرس على أنها لهجة مستقلة متميزة .

ولكن هل هناك رابط بين اللهجة والواحدة ككتلة متميزة وبين سعة بيئتها او عدد سكانها ؟

ونظرة واحدة على خريطة الجزيرة العربية يتبين لنا بجلاء أنه ليس هناك رابط بين اللهجة ، ككتلة متميزة ، وبين سعة بيئتها أو عدد سكانها فقد تكون لهجة مستقلة فى بيئة جغرافية قليلة السكان وفى الوقت نفسه تكون رقعة ضيقة من الأرض ، وهذا ينطبق تمام الانطباق على اللهجات العربية القديمة بصفة عامة ، فلقد كانت منعزلة فى بيئات ضيقة .

## علاقة اللغة واللهجة بالصوت

مما تقدم نفهم اتصال اللغة واللهجة بالصوت ، وإن كانت جهة الارتباط مختلفة؛ لأن اتصال اللغة به من حيث وفاؤه بالمطلوب منه فى إفادة المعنى الموضوع إزاءه وتمييزه عما عداه تمييزا تاما .

وارتباط اللهجة به من حيث الصورة التى تصحبه فى النطق ، إلا أنه يجدر أن نضع نصب أعيننا حقيقة هامة وهى أن اللهجة تتولد من اللغة وتتفرع منها .

وإذا ما تهيأت الأسباب للهجة أن تنمو وتكتمل وتفى بحاجات المجتمع الذى تعيش فيه فمن العوامل اللغوية تحتم على الباحث إطلاق اسم اللغة على تلك اللهجة.

إذ أنها لم تصبح حينئذ لهجة بل أضحت لغة مستقلة عن غيرها ، إذا اختلفت معظم معاني كلماتها واتخذت قواعد خاصة بها فى بنية كلماتها وتركيب جملها وإن ظلت تتصف وغيرها بوشائج تجعلها تنتمى إلى فصيلة واحدة من الفصائل اللغوية .

فالفصيلة اللغوية أو الأسرة اللغوية تشمل عددا من اللغات ترجع إلى أصل واحد مع احتفاظ تلك اللغات بصفات يسهل على الباحث اللغوى أن يرجعها إلى ذلك الأصل القديم .

والعناصر التى تحتفظ بها هذه اللغات التى تنتمى إلى فصيلة واحدة هى تلك العناصر التى لا يصبها إلا قليل من التغير رغم مرور الزمن عليها ، رغم تطور فروع الفصيلة الواحدة .

وهذا أمر طبعى وسنة من سنن التطور اللغوى . إذ أنه من المظاهر اللغوية الملحوظة أن بقاء الاتحاد أو التشابه فى بعض الأصول اللغوية التى ترجع إلى أصل واحد يتوقف على ما يكون بين الشعوب التى تتكلم بهذه اللغات من صلات وروابط جغرافية ، أو اجتماعية .

فذلك الاتحاد أو التشابه حرى بأن يبقى ما دامت تلك الشعوب متعاصرة متجاورة لم تفصل بينها حواجز جغرافية ولم تفرق بينها تقاليد أو ظروف اجتماعية أو ثقافية .

أما إذا باعد الزمان أو المكان بين بعضها وبعض أو انعدام ما بينها من صلات اجتماعية أو ثقافية فإنها تصبح لغات ولهجات تشق كل منها طريقها فى الحياة بعيدة عن أختها او أخواتها ، وحينئذ يقل ما كان بينها من مظاهر الاتحاد ويضعف ما كان بينها من مظاهر التشابه .

وكذلك يقال فى اللغة الواحدة فما دام المتكلمون بها يجمعهم الزمان والمكان وما داموا يخضعون لتقاليد وظروف اجتماعية واحدة فإن لغتهم تبقى إلى حد ما واحدة أيضا ترقى أو تتدهور تبعا لرقى أهلها أو تدهورهم.

اما إذا تفرقوا فى الأرض وطال الأمد على تفرقهم وانقطعت أو ضعفت صلاتهم الاجتماعية والثقافية فإن لغتهم الأصلية تنقسم لا محالة إلى لهجات لكل منها طابع خاص .

من هنا يتبين لنا بجلاء أن اختلاف البيئات الزمانية أو المكانية وضعف الصلات الاجتماعية هى الأسباب الثلاثة الأساسية فى تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ، وكذلك فى اختلاف اللهجات المتفرعة من أصل واحد بعضها عن بعض من المظاهر اللغوية .

والأدلة على صحة هذه الحقيقة كثيرة والشواهد عليها موفورة .

وعلى الرغم من ذلك الاختلاف نستطيع أن ندرك ولو على وجه تقريبى ما بين الأصل والفرع من تشابه ، وما بين اللهجات المتفرعة من أصل واحد وبين

أصلها القديم من تقارب ، وأن ندرك أن الحديث فيها قد نشأ عن القديم على سبيل التطور ، وأن هذا التطور قد عمل عمله فى الظواهر اللغوية المشتركة فاعتراها شئ من المسخ او التعديل إذ أن ما بين الأصل والفرع أو ما بين بعض الفروع وبعض من صلات ليست صلات ثابتة منطقية لا يعتريها تغيير ولا تعديل وإنما هى صلات حيوية اجتماعية خاضعة مثل غيرها من الظواهر الاجتماعية لسنة التغيير والتعديل.

على أنه من المقرر أن بعض الضواهر اللغوية المشتركة بين اللهجات المنحدرة من أصل واحد تظل ماثلة لا يلحقها فناء وإن اعتراها شئ من التعديل أو التغيير وبقاؤها هذا يعد دليلا واضحا على ما بينها من علاقة أو قرابة لغوية ؛ وكذلك انحدارها من أصل لغوى واحد .

### الظواهر اللغوية التى تدل على انحدار طائفة من اللغات من اصل واحد

إن الظواهر اللغوية التى تدل على انحدار طائفة من اللغات من اصل لغوى واحد كما تدل على ما بينها من قرابة أو علاقة لغوية تنحصر فى الأمور التالية:

**أولا** : اشتراك اللغات الفرعية فى عدد كبير جدا من الألفاظ التى تتحد أو تتقارب معانيها فى تلك اللغات على شريطة ألا تدل دلائل تاريخه

على أن تلك الألفاظ المشتركة قد نقلت من لغة إلى أخرى بطريق المهاجرة أو الاستعارة.

فوجود ألفاظ كثيرة من هذا النوع مشتركة بين العربية والفارسية مثلا لا يدل على انحدار هاتين اللغتين من أصل واحد .

**ثانيا:** تشابه هذه اللغات في طرائق الاشتقاق والتصريف وأساليب تكوين الجمل .

**ثالثا:** إطراد التبادل الصوتى فى تلك اللغات كما نجد فى اللغات السامية فالشين فى العبرية تقابلها السين أو الثاء فى العربية فكلمة سوق العربية يقابلها شوق العبرية وكلمة ساق فى العربية يقابلها كلمة شوق فى العبرية ، وكلمة ثلاث العربية يقابلها كلمة شالش العبرية ، والياء فى العبرية يقابلها الواو فى العربية كما فى يالد ويارش بمعنى ورث.

فإذا طبقنا المبادئ الثلاث أو الظواهر الثلاثة الآنف ذكرها على اللغات أو اللهجات السامية لزمنا القول بأنها قد انحدرت من أصل لغوى واحد تقريبا ؛ وهو ما يسمى باللغة السامية الام أو اللغة السامية الأولى او اللغة السامية الأصلية التى كان يتكلمها الساميون حينما كانوا شعبا واحدا ؛ ثم انقرضت منذ آلاف السنين بعد أن تفرق الساميون فى الأرض ، واختلفت بيئاتهم ،

وتعددت منازعهم الشعبية ، وتباينت ظروفهم وتجاربهم الاجتماعية ؛ وليس معنى هذا أن اللغة السامية الأولى كانت لهجة واحدة لا تختلف بين طائفة من الساميين عنها بين طائفة أخرى كلا فلسنا نقول بهذا ، لأن الوحدة اللغوية المطلقة لا يمكن أن تكون كاملة حتى بين طوائف الشعب الواحد ، ومن ثم نجد أن كل طائفة من طوائف الشعب الواحد تستخدم أساليب وظواهر لغوية ومصطلحات خاصة بها قد لا يفهمها غيرهم من الطوائف ، وذلك بحكم انعزال هذه الطائفة واختلاف مناهجها الحيوية وأساليبها الاجتماعية عن نظائرها من الطوائف الأخرى .

فلهجة البيئة الزراعية تختلف عن لهجة أرباب البيئة الصناعية فلكل أساليبه وظواهره اللغوية الخاصة به بل إن البيئة الصناعية يختلف أداة التفاهم بينها تبعا لنوع الصناعة فبيئة النجارين غير الحدادين الخ .

مما سبق يتضح لنا بجلاء أن اللغة ما هى إلا لهجة فى الأصل فى بادئ الأمر ثم بمرور الزمن مع اختلاف البيئات نمت وأصبحت لغة مستقلة لها قواعدها الخاصة وأساليبها وطرق اشتقاقها وغير ذلك مما هو معروف فى علم

اللغات وهذا أمر طبعى لا جدال فيه بل من الحقائق الثابتة والمعلومة لدى الباحثين اللغويين منذ القدم حتى الآن .

## التوزيع الجغرافى للغة واللهجة :

إن النظرة الدقيقة والتى يترتب عليها التحديد الدقيق لهذا الموضوع ليس من السهل واليسير الوقوف على خفاياه وحقائقه بطريقة قاطعة لأنه إن أمكن إيجاد فواصل وحدود جغرافية بين اللغات المختلفة فليس من اليسير وجود تلك الحواجز والحدود بين اللهجات ، وذلك نتيجة للتداخل القوى بينهما كما هو معروف ومشاهد لنا جميعا . وأكثر من هذا نرى أمكنة دون فواصل ويتكلم بعضها لغة وبعضها الآخر لغة أخرى كما هو مشاهد فى القرى الشمالية الواقعة على الحدود السورية التركية .

إذا كما قلنا إنه من اليسير تحديد المعالم الجغرافية بين اللغات المختلفة والتى تميزها تمييزا كاملا عن بعضها فإذا أردنا مثلا أن نحدد جغرافيا لغتنا العربية كان من السهولة بمكان وهى أنها تبدأ من الجزيرة العربية وتمتد فى ظلال الأقاليم التى انتشرت بين ربوعها نتيجة للعوامل التى أدت إلى ذلك وخاصة انتشار الإسلام فى هذه الأقاليم وستظل سائدة بين الشام والعراق إلى أن تصدم بحواجز وحدود لغوية تجعلنا نتعرف على جغرافية اللغة العربية وهى أنها

بحواجز وحدود لغوية تجعلنا نتعرف على جغرافية اللغة العربية وهى أنها تحد بحدود الوطن العربى وتبدأ من الخليج العربى شرقا إلى المحيط الأطلنطى غربا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى نهاية الحدود الجغرافية المعروفة للبلاد العربية ونظرة واحدة إلى خريطة تلك البلاد تبين لنا بجلاء الحدود الجغرافية اللغوية للغتنا العربية يضاف إليها كل الناطقين باللغة العربية من البلاد الإسلامية الإفريقية الأخرى وما إلى ذلك . وكذلك ممكن أن تبين الحدود الجغرافية للغة الإنجليزية والفرنسية والصينية والروسية واليابانية والهندية . .الخ وهى أنها تحد بحدود الأمة التى يعكف أبناؤها على التفهم بلغتهم الخاصة بهم دون غيرهم أما إذا كان أبناء الأمة يتكلمون أكثر من لغة كما هو حاصل ومشاهد فى سويسرا فإن فيها لغات أربع قومية وهى الألمانية والإيطالية والفرنسية والرومانية فلكل منطقة لغة خاصة ولكن الاختلاط الاجتماعى والوحدة السياسية قد أديا إلى تداخل الحدود الجغرافية بين هذه اللغات الأربع ولذلك كان من الصعب جدا رسم خطوط جغرافية تميز بين حدود هذه اللغات ، وهذا يرجع إلى الترابط القوى بين أفراد هذه الأمة ولذلك يمكن فى هذه الحالة وأمثالها أن يكونه الفاصل بين هذه اللغات قرية أو شارعا كما نشاهد ذلك فى السودان فإن شماله يتكلم أبناؤه اللغة العربية بينما نجد فى الجنوب لهجات غير عربية .

وكما قلنا سابقا إنه توجد قرى واقعة على الحدود السورية التركية يتكلم أبناؤها العربية والتركية جنبا إلى جنب مما يكون صعوبات للرسم الجغرافى الفاصل بين الناطقين بتلك اللغات المختلفين وإذا ثبت لنا ذلك وهو صعوبة رسم الخط الجغرافى فى بعض الحالات التى ترتبط فيها اللغات ارتباطا وثيقا وذلك يعطينا صورة أكيدة عن صعوبة رسم هذا الخط الذى يبين لنا الحدود الفاصلة بين لهجات اللغة الواحدة للتشابك القوى والترابط المتين بين أفراد الأمة رغم توزعهم اللهجى ولذلك إذا أردنا أن تبين وتعرف على بده اللهجات العربية أو نهايتها تعذر علينا ذلك.

وقد أدت تلك الصعوبات إلى قول بعض اللغويين : إنه لا توجد ظواهر لغوية صوتية ونحوية ومعجمية تميز تمييزا تاما بين منطقة وأخرى ومن هنا نجد أن فريقا من هؤلاء العلماء اللغويين قد اتجه إلى القول بنفى وجود لهجات فى اللغة الواحدة لصعوبة التمييز بين تلك اللهجات المختلفة وصعوبة رسم خط جغرافى لكل منها على حدة ومن هؤلاء العلماء "جاستون بارى" فقد قال :"ليست هناك حدود حقيقية تفصل بيم الفرنسيين أهل الشمال من أهل الجنوب إن لغتنا العامية تنتشر فى طول البلاد وعرضها بصورة تشبه لوحة ذات

ألوان مختلفة ولكنها جميعا يتداخل بعضها ببعض بدرجة لا تسمح برؤية الانتقال التدريجى من نقطة إلى أخرى [١]"

ويؤيد هذه الوجهة وهى نفى وجود لهجات فى اللغة الواحدة "جوهان شميدت" صاحب نظرية الموجة التى يرى فيها كل ظاهرة لغوية تنتشر كالموجة فوق كل منطقة وإن كل موجة من النوع ليست لها حدود معينة فى تقدمها التدريجى ولقد استخلص "شميدت" نظريته هذه من دراسته التى أجرها على اللغات الهندية الأوربية حيث إنه قد توصل من خلال دراسة هذه إلى أنه لا يوجد اتحاد بين خطوط توزيع الظواهر اللغوية المختلفة بدرجة تسمح بالقول بوجود لهجات مختلفة.

ومن جهة أخرى فلقد عارض "ميبه" وجهة "شميدت" السابقة وهى القول بنفى اللهجات الهندية الأوربية بناء على التداخل القائم بين اللهجات والذى يجعل الصعوبة قائمة فى وضع خطوط دقيقة للهجات المختلفة وقد بنى "ميبه" رأيه على أنه من الممكن القول بوجود لهجات مختلفة مهما اتحدت تلك اللهجات ويتحقق ذلك بالتعرف على السمات والخصائص ومن هنا يتضح لنا سهولة معرفة أن اللهجات فى اللغة العربية والواقعة بين الأجيال المتعاقبة هى

---

(١) اللغة لفندريس ترجمة الدواخلى والقصاص .

لهجات وليست لغات فالعربية السورية والعربية العراقية وما إلى ذلك هى لهجات للغة العربية .

والرأى الذى ارتآه "ميبه" هو فى نظر الباحث هو الرأى الذى يمكن الاعتماد عليه فى التعرف على اللهجات المختلفة وتحديدها لنا تحديدا واضحا بناء على ما اشتملت عليه من مميزات خاصة وسمات معينة لا توجد فى غيرها من بقية اللهجات وعلى هذا تسير معظم الدراسات اللهجية فى التفرقة بين اللهجات ومع ذلك فإنه من العسير جدا بل من الصعب تحديد الخط الجغرافى الذى عنده تنتهى اللهجة وتبدأ عنده اللهجة الأخرى للتشابك اللغوى كما قدمناه .

## عوامل نشأة اللهجات :

إن أهم عامل فى نشأة اللهجات وانقسام اللغة الواحدة إلى عدة لهجات هو سوء المواصلات أو صعوبتها وعدم الاختلاط الاجتماعى لأى سبب من الأسباب ولعل سوء المواصلات بين الوجه البحرى والوجه القبلى قديما كان سببا فى الفروق اللغوية أو الخصائص اللهجية والسمات لكل من الوجهين والتى تشاهدها الآن ويمكننا أن نبسط القول فى هذا المجال حتى نقف على خفايا ونلم بأطرافه المتشعبه فيما يلى :

## أولا: عوامل جغرافية :

وهذا يتحقق إذا كان الناطقون باللغة الواحدة يعيشون فى بيئة جغرافية واسعة مترامية الأطراف مختلفة الطبيعة فيها من مكان إلى مكان آخر كأن توجد جبال أو وديان تفصل بقعة عن أخرى بحيث يترتب على ذلك انعزال مجموعة من الناس عن مجموعة أخرى وهذا بالتالى يؤدى مع مرور الزمن إلى نشوء لهجة تختلف عن لهجة ثانية تنتمى إلى نفس اللغة ، والذين يعيشون فى بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التى يتكلمها الذين يعيشون فى بيئة صحراوية بادية .

ومن هنا يتبين لنا أن اختلاف البيئة الطبيعة له أثر كبير فى اختلاف اللهجات وتنوعها تبعا لاختلاف المنازل والمشارب إذ أن البيئة الطبيعية تختلف اختلافا بينا ، فبينما يقطن قوم السهول الخصبة والأرض المشبعة يلجأ آخرون إلى الجبال وما يكتنفها من صحارى واسعة لينعموا بظلال الحرية بين فيا فيها . والأجواء تختلف باختلاف المناطق ومما لا شك فيه أن اختلاف البيئة الطبيعية له أثر بين أجسام السكان وإشكالهم وقدودهم واختلاف أدوات الكلام عندهم وهذا يؤدى - بالتالى - إلى اختلاف اللهجات وتعددها .

## ثانيا: عوامل اجتماعية :

والبيئة الاجتماعية لكل فريق من الناس تختلف اختلافا بينا فكل قوم لهم نظام خاص فى معيشتهم وطرق التفكير لديهم فالمجتمع الإنسانى بطبقاته المتعددة – والمختلفة يؤثر أثرا ظاهرا فى نشوء اللهجات ووجودها ، فالطبقة الأرستقراطية تتخذ لهجة خاصة بها غير لهجة الطبقة الدنيا من المجتمع وكذلك الطبقات الحرفية والمهنية فهناك طبقة النجارين وطبقة التجار وطبقة الزراع ... إلخ ولكل طبقة من هذه الطبقات لهجة خاصة بها حتى أن اللصوص وطريدى القانون لهم لهجة واصطلاحات خاصة بهم وتختلف فى بعض خواصها عن بقية اللهجات ولذا نرى أن فندريس فى كتابه اللغة يقرر أنه يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذى لا يحد وأنها فى تغيير دائم تبعا للظروف والأمكنة فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة [1] .

## ثالثا: اتصال الشعوب لتبادل المنافع أو الهجرة :

فالشعوب البشرية لا يمكنها أن تستقل عن بعضها وذلك لأن لكل شعب مميزات وخصائص ولذلك نرى أن بعض البلاد تروج فيها التجارة والأخرى الصناعة ونظام الحياة يتطلب أن تستفيد الشعوب بمزايا بعضها وهذا بدوره

---

(١) اللغة لفندريس ترجمة الدواخلى ومحمد القصاص ٣٢٥ .

يؤدى إلى توثيق الصلة التامة بينها وتسود العلاقات الوطيدة بينها ليتمكن الجميع من تبادل المنافع وهذا الاتصال يتطلب معرفة كل فريق لغة الفريق الآخر وهذا يقتضى تحويرا فى النطق فى بعض الأحيان وإخلاله فى الأداء يؤدى ، على مر الزمن ، إلى نشوة لهجات جديدة فى هذه اللغة .

كما أن الشعوب قد تتصل ببعضها نتيجة ارتحال فريق من موطنه الأصلى إلى مكان آخر طلبا للعيش وسعيا وراء الرزق وقد يكون الفريق المهاجر ذو جاه ونفوذ يفوق سكان البلاد الأصليين فيؤدى هذا إلى تغلب لغته . والتاريخ يحدثنا أن الجماعة التى رحلت إلى بلاد العراق وكونت مملكة بابل وأشور على أنقاض السومريين أصحاب البلاد الأصلية فلقد تغلبت على لغة السومريين ومحتها بعد أن تأثرت بها إلى حد التفاوت بينها وبين أخواتها من اللغات السامية الأخرى .

وهناك نوع آخر من اتصال الشعوب ببعضها وهذا النوع هو ما يعرف بالصراع بين الشعوب نتيجة غزو ، فالصلة التى بين الشعوب بعضها وبعض صورة لما يجرى من العلاقات بين الأفراد وقد يعترى هذه العلاقات فتور قد يؤدى إلى قيام الحروب بين الأمم لأسباب تقتضى ذلك والأمم التى يكون لها الفوز والغلبة تحظى لغتها بالذيوع والانتشار والتأثير فى لغة البلاد التى غلبت على أمرها لأن من شأنها الضعيف تقليد القوى ولهذا قد تمحى لغة البلاد

المهزوة أو يضعف شأنها وفى التاريخ شواهد كثيرة على أثر الصراع اللغوى فاللهجات العربية التى انتشرت فى البلاد الإسلامية بعد الفتح دليل عليه وهذا الاحتكاك أو الصراع اللغوى نتيجة الهجرات أو التجاور أو الغزو يعد من أهم العوامل الرئيسية التى تؤدى إلى وجود اللهجات ونشأتها ولذلك نرى فندريس يقرر أن "تطور اللغة المستمر فى معزل عن كل تأثير خارجى يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق فى أية لغة بل على العكس من ذلك فإن الأثر يقع على لغة من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا هاما فى التطوير اللغوى[1] " .

**رابعا : عوامل ترجع إلى الأفراد وكيفية نطقهم للألفاظ والخطأ فى الأقيسة:**

من الحقائق الثابتة والمقررة أن اللغة إذا كانت واحدة فهى متعددة بتعدد الأفراد الذين يتكلمونها ومن المسلم به أنه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفترق والاختلاف الواقع بين الأفراد فى كيفية النطق يؤدى مع مضى الزمن إلى أن تتطور لهجتهم هذه أو تنشأ لهجات أخرى .

وأكثر من هذا فإننا نرى أن سابير يذهب إلى اللهجات تنشأ من الميل العام إلى الاختلاف الفردى فى الكلام .

ومما له أثر بالغ فى نشوء اللهجات ووجود ما يسمى بخطأ الأطفال والقياس الخاطئ فنحن نشاهد أن بعض الأطفال يقول :"أحمرة وأخضرة" فى

---

(١) اللغة لفندريس ص ٢٤٨ .

مؤنث أحمر وأخضر فإذا عاش هؤلاء الأطفال فى معزل عمن يقوم لهم ألسنتهم كأن يكون آباؤهم مشغولين فى الغزو أو فى طلب الرزق أصبحت هذه الأخطاء بعد مضى فترة من الزمن عادات لهجية ويخيل للباحث أن الظاهرة المنسوبة إلى قبيلة تميم فى تصحيح اسم المفعول من الأجوف حينما يقولون :" مبيوع ومديون" قياسا على الفعل الصحيح من هذا القبيل .

وبالجملة فإن تكون اللهجات يمكن أن يعزى إلى عاملين رئيسيين وهما :

١- الانعزال بين بيئات الشعب الواحد .

٢- الصراع اللغوى نتيجة غزو أو هجرات ..

ولقد شهد التاريخ نشوء عدة لغات مستقلة من اللغة الواحدة نتيجة أحد هذين العاملين أو كليهما معا .

فإذا اتسعت رقعة اللغة وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية استطعنا أن نحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات مختلفة ، فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحارى أو نحو ذلك بين بيئات اللغة الواحدة وبالتالى يترقب على هذا الانعزال والانفصال أو الاحتكاك بين أبناء الأمة الواحدة بعضهم ببعض أو انعزالهم بعضهم عن بعض . ومن هنا ونتيجة لذلك تنشأ مجموعات صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة والتى لا تلبث بعد مضى قرن من الزمن أو قرنين أن تتطور تطورا مستقلا يباعد بين صفاتها ويكون

سببا فى تشعبها إلى لهجات مختلفة، وذلك لأنه من الضرورى أن يتطور الكلام ويتغير على مرور الزمن ، ولكننا نجد أن الطريق الذى يسلكه الكلام فى هذا التطور يختلف من بيئة إلى أخرى لأن ظروف الكلام تختلف بين البيئات ولا يأخذ طريقا واحدا فى تطوره وشكلا واحدا فى تغيره ولظلت البيئات المنعزلة ذات لهجة واحدة لا تتشعب إلى صفات مختلفة ، ولكننا نرى أن الواقع والمشاهد أنه متى اختلفت البيئات اتخذت أشكالا متغايرة ومتباينة فى تطور لهجاتها فليس للانعزال الجغرافى وحده كل الأثر فى تكوين اللهجات بل الضرورى والواجب أن يضم إليه الانعزال الاجتماعى أيضا واختلاف الظروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة ما تتخذ فيه العلاقة بين أفراد الأسرة شكلا خاصا ونظاما معينا ما تتخذ فيه العلاقة بين أفراد الأسرة شكلا خاصا ونظاما معينا ، ومنها ما قد تشتهر فيه مهنة خاصة أو تتصف بطبيعة معينة فى تربيتها تصلح لنوع خاص من الزراعة أو الصناعة ولذلك نرى أن أبناء البيئات الزراعية لهم من الظروف الاجتماعية ما يخالف ظروف أبناء البيئات الصناعية أو التجارية أو الملاحية وصيد الأسماك وما إلى ذلك.

فهذه الظروف الاجتماعية والتى لا تكاد تقع تحت عد هى التى تكون عاملا مساعدا لعامل الانعزال الجغرافى على اختلاف الطريق الذى يسلكه الكلام فى تطوره، كما يوجد اختلاف بين الظروف الاجتماعية فى البيئات

المنعزلة من الأمة الواحدة توجد من جهة ثانية عوامل اشتراك بينها جميعا ترجع إلى نعرة قومية أو رابطة سياسية أو اتجاه خاص فى التفكير وهذه العوامل المشتركة بين البيئات المختلفة للأمة الواحدة التى تحافظ على استمرار نوع من الوحدة بينهما وتكون سببا فى شذب ذلك التغير الذى قد يساعد بين بيئتها ولا يزال الأمر فى صراع عنيف بين عوامل الاتصال وعوامل الانفصال ، هذه تباعد بين اللهجات وتلك تقرب بينها ولكن فى النهاية تكون الغلبة فى جميع الأمثلة التاريخية دائما لعوامل الانفصال وذلك تشعبت اللغات إلى لهجات واستقلت هذه اللهجات وتميزت بعضها من بعض ولكن لابد لهذا التشعب من زمن طويل حتى يتحقق وجوده بعد مرور عدة أجيال مختلفة .

وخير مثل يمكن أن يضرب لهذا الانعزال الذى يكون سببا فى تشعب اللغة الواحدة إلى لهجات تلك اللهجات العربية القديمة فى جزيرة العرب قبل الإسلام فالبيئة الجغرافية ممتدة واسعة وعلى هذا كانت تختلف الطبيعة فيها فيتصل بعض بقاعها وينفصل بعضها الآخر ففيها التهأم والنجود والمسايل والوديان وفيها المناطق الصحراوية التى تعيش فيها البدو وفيها مناطق الاستقرار والتحضر حيث يوجد شئ من زراعة أو نصيب من تجارة .

وأحدث الأمثلة لهذا الانعزال ما حدث للأسبانية والإنجليزية حيث انتشرت اللغة الأسبانية فى أمريكا الجنوبية وانتشرت اللغة الإنجليزية ى أمريكا

الشمالية وبدأنا نلمس فروقا بين إنجليزية أوربا وإنجليزية أمريكا وأسبانيا أمريكا وأسبانية أوربا ، وهذا الخلاف وذلك التباين يرجع إلى الانعزال بين البيئات من الناحية الجغرافية والظروف الاجتماعية .

مما سبق يتبين لنا بوضوح أن انتشار اللغة الواحدة فى بيئات منعزلة يكون لهجات لا تلبث أن تستقل وتتميز بصفات خاصة .

أما العامل الرئيسى الثانى لتكوين اللهجات فهو الصراع اللغوى نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة فقد يغزو شعب من الشعوب أرضا يتكلم أهلها لغة أخرى غير لغة الغازين ، ومن هنا يقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة وتكون النتيجة فى النهاية إما القضاء على إحدى هاتين اللغتين قضاء يكاد يكون تاما او أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتركة ومشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمغزوة تشمل على عناصر مأخوذة من هذه وأخرى مأخوذة من تلك .

ونظرة واحدة فى التاريخ نرى أن العرب قد غزوا جهات كثيرة ومتعددة ذات لغات مختلفة واستطاعت اللغة العربية فى نهاية المطاف أن تقضى على اللغات وتصرعها فى مهدها وأن تحل محلها فلقد تغلبت اللغة العربية على الأرامية فى الشام والعراق وعلى القبطية فى مصر والبربرية فى بلاد المغرب والفارسية فى بعض بقاع مملكة فارس القديمة .

ويذكر لنا التاريخ أن الرومان قد غزوا جهات كثيرة فى أوربا وأن لغتهم الرومانية قد حلت محل اللغات التى كان يتكلم بها في تلك البقاع والأماكن .

وقد استعرض المحدثون من علماء اللغات الأمثلة التاريخية للصراع اللغوى فرأوها أنواعا وقد رأوا أن نتيجة الصراع تختلف حسب كل نوع وظروفه .

١- فهناك غزو كان الغزاة فيه قليلى العدد اقتصر على جيش قوى كامل العدة ظهر تفوقه ساعة القتال فلما وضعت الحرب أوزارها وبدأ الغزاة حياة سلمية من أهل الأرض المغزوة ظهرت قلتهم وضعف أثرهم وبدأ المستوطنون منهم يهجرون لغتهم الأصلية متأثرين بلغة البيئة الجديدة غير أن اللغة المغزوة قد تستعير فى مثل هذه الحالة بعض الكلمات والأساليب من اللغة الغازية كتلك التى تعبر عن نظام الحكم وأمور الجيش ونحو ذلك وخير مثل لهذا غزو النورمنديين لإنجلترا فى القرن الحادى عشر إذ تغلبت اللغة الإنجليزية على لغة الغزاة بعد زمن ما وقد تركت النورماندية الفرنسية آثارا ضئيلة باللغة الإنجليزية. ويطول زمن الصراع أو يقصر فى مثل هذه الحالة على حسب قرب اللغتين الغازية والمغزوة إحداهما من الأخرى وعلى قدر اعتزاز الغزاة بموطنهم الأصلى وتمسكهم بتقاليدهم وعادتهم ومقدار اختلاطهم بالشعب المغزو .

٢- وهناك غزو كثر الغزاة فيه وتبعه موجات من هجرات لذلك الشعب الغازى جاءت بطوائف كثيرة من الناس يستعمرون الأرض ويشتركون فى

مهمتها وحرفها ويلتمسون الرزق فى مواردها زراعة أو صناعة فلا يدعون مجالا لاجتلاب الخير إلا طرقوه ولا موردا للحصول على نفع إلا أسرعوا إليه .

وفى مثل هذه الحالة نرى الغزاة يكونون الطبقة العليا والوسطى فى حين أن من قهروا فى عقر دارهم يكونون الطبقة الدنيا ؛ تلك الطبقة الضعيفة المقلدة التى تعتز بصفات الغالب وبكل ما جاء به ومن بين ذلك اللغة فلا تلبس اللغة المغزوة فى صراعها إلا زمنا قصيرا بعده تهزم تاركة آثارا ضئيلة جدا فى اللغة الغازية التى تشيع بين الناس وتصبح لغة الخاص والعام ، وتكاد تنحصر تلك الآثار التى تخلفها اللغة المغزوة فى صفات صوتية خاصة أو بضع كلمات تعبر عن مهن حقيرة أو عن أشياء اختصت بها البيئة المغزوة من حيوان أو نبات .

وخير مثل لهذا الغزو الأنجلو ساكسون لبلاد الإنجليز قديما ، وذلك الغزو الذى قضى على اللغة "الكلتية" القديمة التى تركت آثارا ضيلة جدا فى اللغة الإنجليزية الغازية .

٣- أما هجرة شعب إلى أرض معمورة دون غزو منظم تقوم به جيوش محاربة وإنما أمر منافسة فى طلب العيش فقد حدث له أمثلة فى العصور التاريخية حين هاجر قوم من الساميين إلى بلاد ما بين النهرين وكونوا على أنقاض السومريين تلك المملكة التى عرفت فيما بعد بمملكة البابليين والآشوريين وقد

قضت هذه الهجرة السامية على اللغة السومرية بعد أن تركت فى اللغة السامية آثارا وأحدثت بها أحداثا جعلتها تباين أخواتها السامية فى جهات أخرى [١].

واللهجات العربية التى كانت منتشرة فى شبه الجزيرة قبل الإسلام لا تختلف عن غيرها فى العامل الرئيسى ، ففى هذه الجزيرة حدثت هجرات بشرية حدثتنا عنها كتب التاريخ والأنساب : هاجر من هاجر من أهل اليمن إلى وسط الجزيرة وشرقيها وشماليها وهاجر من هاجر من أهل الحجاز إلى اليمن ، ولقد تجاورت لهجات مع لهجات ومع لغات أخرى ، فلهجات القبائل العربية التى تنزل بادية الشام أو العراق مثلا كانت تجاور لغات كالآرامية والعبرية وهذا الاحتكاك قوى أدى إلى ظواهر لهجية سوف تتعرض إليها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وبعد فهذه هى الأسباب والعوامل التى إن وجدت كانت سببا فى وجود اللهجات وتنطبق على جميع اللغات مهما اختلفت فى انتمائها إلى فصائل لغوية متباينة فهذه العوامل متى وجدت تفعل فعلها فى اللاغين فيبدأون بتحولات فى نطقهم تؤدى فى كثير من الأحيان إلى وجود لهجات تتفرع من لغتهم.

---

(١) سبق أن تعرضت لهذه اللهجة أثناء الكلام عن عوامل نشوء اللهجات قبل قليل فى هذا المكان نفسه .

## هل البلبلة سبب فى اختلاف اللهجات ؟

ومع ما سبق من الأسباب والعوامل التى تكوّن اللهجات ووضوح ذلك وضوحا ظاهرا " ومسايرة ذلك للحقيقة والواقع نجد أن فريقا من العلماء قد حاد عن شاكلة الصواب ورأى أن اختلاف الألسنة يرجع إلى حادث برج بابل والذى قام البابليون ببنائه ظنا منهم أنهم سيصعدون بواسطته إلى السماء فغضب الرب عليهم وصدع هذه البنية ونجم عن هذا التصدع بلبلة الألسنة لشدة هول هذا الحادث وقد استندوا فى دعواهم إلى ما ورد فى الإصحاح الحادى عشر من سفر التكوين وعزوا إطلاق بابل على المدينة المعروفة لهذه المناسبة .

وهذا قول ظاهر الفساد لا سند له من الواقع أو التاريخ ، لأن الألسنة إذا كان قد نالها تأثير من أثر هذا الحادث العظيم على رأيهم فما الذى يجعل الألسنة تختلف على اختلاف الأزمنة وتفاوت الأمكنة ؟

ودعوى أن بابل أطلق عليها هذا الاسم لهذه المناسبة غير حقيقى لفقدانه الأدلة التاريخية على هذا بل انعكس من ذلك تماما فالتاريخ خير شاهد على كذب هذا الإدعاء المختلق من أساسه ؛ فالتاريخ يحدثنا أن إطلاق هذا الاسم على هذه المدينة هو من عمل الملك سرجون الأول سنة

٢٧٠٠ قبل الميلاد حين بنى فيها معبدا لمعبودهم مردوك وهى من المركب الإضافى فأصلها فى اللغة العبرية باب أيل أى باب الله ونسبها إلى الله تشريفا .

من هذا يتبين لنا بوضوح بطلان هذا الرأى وفساده ؛ إذ لا أثر له فى تفرع اللغة إلى لهجات كما يظن القائلون به ، ولكن إذا وجدت العوامل السابقة بدأت تؤثر فى اللاغين وتبعث فى ألسنة المتكلمين أوجه الخلاف التى تبدأ فى الناحية المتعلقة بالصوت فتختلف الحروف التى تتألف منها الكلمة ويتبعها اختلاف فى نطق هذه الحروف ويشتد الخلاف على مر الزمن وينتقل هذا الخلاف إلى وجود تباين بين معانى الكلمات وفى نهاية الأمر ينال القواعد التغييرات .

## عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة

بعد أن عرفنا كيف تكون اللهجات وعوامل نشأتها أو بما يسمى بظواهر اللغة نريد أن نبين فى هذا المبحث أن الوحدة اللغوية تعتمد دائما على الاختلاط وعلى أى نوع من أنواع المشاركة فى أمور الحياة ، وعن طريق هذا الاختلاط وتلك المشاركة تتخلص اللهجات من السمات الخاصة بها والخصائص اللغوية التى تتميز بها عما عداها من لهجات اللغة الواحدة والتى لم تألفها الآذان العربية عنها والتى قد يميل من لا يعرفها إلى التهكم بها والسخرية منها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن لهذا الاختلاط وتلك المشاركة عوامل كثيرة مختلفة تساعد على تحققها نذكر منها ما يلى :

**١- الاجتماعات الدينية :**

إذ للاجتماعات الدينية أثر هام فى التقريب بين اللهجات المختلفة والتخلى عن الصفات والسمات والظواهر اللغوية الخاصة بهذه اللهجات واللجوء إلى التحدث باللغة المشتركة التى يفهمها الجميع ، كالحج إلى بيت الله الحرام ، والجمع والأعياد . فى كل هذه الاجتماعات تحقيق للغة المشتركة وتخلى عن الظواهر اللغوية الخاصة باللهجات .

**٢- الحرب:** والتى تترتب عليها اندماج السكان وتلاقيهم بطرق مختلفة أهمها الهجرة إلى أماكن بعيدة عن مواقع العمليات العسكرية ومسرح القتال.

**٣- الخدمة العسكرية :**

فالجنود من مختلف الأقاليم يتقابلون ويتخلطون فيلجأون إلى التحدث باللغة المشتركة والتخلى عن الصفات الخاصة بلهجاتهم حتى لا يكونون موطن سخرية من الغير وأيضا أداة التفاهم بينهم وبين قوادهم ومدربيهم واحدة ، وهذا واضح جلى لنا جميعا فالجندى الذى يأتى من إقليم يعطش الجيم نجده يتخلى عن هذه الظواهر وينطقها نطقا قاهريا ويظل هذا النطق عالقا به فترة من الزمن حتى بعد انتهاء مدة خدمته العسكرية .

٤- تأسيس المعارض والأسواق العامة وإقامة المباريات الرياضية المختلفة بين الأندية الكبرى حيث يجتمع الناس على اختلاف لهجاتهم من مختلف الأقاليم ، ويلجأون إلى التحدث باللغة المشتركة ويتخلون عن صفات لهجاتهم .

٥- وللأدب دور كبير فى تكوين اللغة المشتركة والتخلى عن صفات اللهجات المختلفة .

وليس المقصود هنا بالأدب أدب شاعر أو كاتب خاص بل المقصود هنا مجتمع أدبى سواء كان أدبه مكتوبا أم غير مكتوب ، ولا يغيب عن أذهاننا ما كان للرواة فى العصرين الجاهلى والإسلامى من فضل فى نشر اللغة الأدبية المشتركة أو ما يسمى بالأدبية النموذجية والتخلى عن صفات اللهجات الخاصة.

**٦- الزواج المختلط :**

يرى بعض علماء اللغة أن الزواج المختلط له أثر كبير فى إيجاد لغة مشتركة حيث يتحدث الآباء والأمهات بلغة يفهمها أطفالهم ويحاول كل منهم التخلى عن صفاتهم اللهجية .

يقول أحد العلماء الهولنديين فى هذا الشأن : إن أحسن طريقة لانتشار لغة مشتركة راقية هى الزواج بين أشخاص يتكلمون لهجات مختلفة فإن الآباء فى هذه الحالة يتكلمون عادة لغة مشتركة فى المنزل فيحفظها أطفالهم.

وهـذا عـامل كأحد العوامـل المؤديـة إلى توحيـد اللغـة وتكويـن اللغـة المشـتركة والتخلى عـن الصفـات اللهجيـة المختلفـة وليـس بـأقوى العوامـل أو أحسنها كما يتصور هذا الباحث .

**٧- الإذاعة والتليفزيون :**

وهذا العامل له أثر كبير فى نشر اللغة المشتركة والتخلى عن الصفات المحلية للهجات حيث يلجأ المذيع إلى متحدث باللغة الأدبية النموذجية المفهومة لدى الجميع.

**٨- الصحافة :**

الجرائد اليومية والمجلات الدورية عامل له أثر كبير فى توحيد اللغة وتكوين اللغة المشتركة التى يفهمها الجميع حيث يكتب بها الصحفيون ويتخلون عن لهجاتهم المحلية .

**٩- الوحدة السياسية :**

والوحدة السياسية عامل من عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة لأنها تؤدى إلى الاختلاط والاجتماع بين سكان الأقاليم المختلفة والاتصال الدائم وبشكل قوى ، وهذا يؤدى إلى توحيد اللغة والتخلى عن الصفات اللغوية الخاصة باللهجات الإقليمية.

ولا شك أن الوحدة السياسية تستلزم وجود حكومة مركزية وهذه الحكومة تعمل جاهدة بمباشرة مهامها واستعمال لغة عامة مفهومة لدى الجميع وعدم استعمال صفات خاصة لأى لهجة من اللهجات الإقليمية .

ومن جهة أخرى فرعايا هذه الحكومة على اختلاف أقاليمهم عند قضاء حاجاتهم لدى الحكومة المركزية يستعملون اللغة العامة المشتركة المفهومة لدى الجميع ولا يستعملون صفات لهجاتهم المحلية وهذا بدوره يؤدى بمرور الزمن إلى توحيد اللغة وتكوين اللغة المشتركة والقضاء على اللهجات الإقليمية .

**١٠- ظهور المدن الكبرى :**

وهذا عامل من عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة فإلى هذه المدن يلجأ السكان وينزحون إليها من مختلف الأقاليم وفى هذه المدن يندمج بعضهم ببعض فتذهب خصائص لهجاتهم تدريجيا ويحاولون استعمال اللغة العامة المشتركة لدى الجميع وهى لغة المدينة المعروفة بها وهذا واضح جدا .

هذه هى بعض عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة وهى عوامل معقدة ومتشابكة وتعمل مع بعضها فى اتجاه واحد فى الوقت نفسه ، وليس من الدقة أن تنسب الفضل إلى عامل واحد أو عاملين بالذات ، اللهم إلا إذا أردنا تلخيص كل العوامل تحت قاعدة عامة تضم كل الاحتمالات والظروف المختلفة هذه القاعدة هى: أن الظروف الاجتماعية وما يترتب عليها من اتصال

واجتماع واختلاط بين الناس هى العوامل الأساسية فى إزالة الفروق اللغوية المختلفة والخاصة باللهجات الإقليمية وتكوين اللغة المشتركة المفهومة لدى الجميع وتوطيد أركانها .

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المجال أن التوحيد التام بين لهجات اللغة الواحدة أمر محال ومتعذر ، إذ من الثابت أن الظروف الاجتماعية مهما زالت الفروق الطبقية ومهما كثرت عوامل الاختلاط والاتصال لا يمكن أن تتحد اتحادا كاملا كما أنه لابد أن تحتفظ كل بيئة من البيئات وكل طائفة من الطوائف ببعض الخصائص اللغوية الخاصة بلهجاتهم الإقليمية ويرجع ذلك إلى نوع من العصبية أو الافتخار بهذه اللهجات .

ومن هنا يتضح لنا أنه من العبث أن يضنى العلماء أنفسهم فى تكوين لغة عالمية يجتمع عليها بنى البشر جميعا ، وإن كان هذا من الغايات التى فكر فيها كثير من العلماء .

ومع ذلك فقد حاول بعض العلماء المحدثين وضع لغة عامة يجتمع عليها الناس جميعا من مختلف الجنسيات واللغات وأطلقوا عليها اسم (الاسبرانتو) وتؤلف هذه من ٢٢٠٠ مادة مأخوذة من جميع لغات أوروبا وكان الهدف من وراء هذه الفكرة هو إيجاد لغة صناعية يمكن عن طريقها التفاهم بين مختلف الجنسيات فى المجتمعات الدولية فقط ، فهذه اللغة لا تخضع للقوانين نفسها التى

تخضع لها اللغات الطبيعية ، فهى أساسا لغة قراءة وكتابة فقط لا لغة حديث عام يستعملها الأفراد العاديون كاستعمالهم للغات الطبيعية ، وهى أيضا تخضع لإشراف علمى يزيد كلماتها كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، وأيضا ينقص كلماتها حين تفقد هذه الكلمات دلالاتها ومعانيها الموضوعة بها .

ورغم هذا فلم يكتب لهذه الفكرة النجاح حتى وقتنا الحاضر .

## وحدة النطق فى العالم العربى

انتقلت اللغة العربية من شبه الجزيرة العربية مع الفتوح الإسلامية إلى مناطق كان لسانها يختلف عن اللغة العربية اختلافا شديدا فى بعض الأحيان أحيانا أخرى كان قريب الشبه باللغة العربية الفاتحين من العرب.

وبدأ الصراع اللغوى يتخذ صورا مختلفة فى تلك البيئات المغزوة وكان هذا الصراع يقوى ويشتد حينا ويضعف ويقل حينا آخر ويقوى ويشتد فى الأماكن البعيدة عن شبه الجزيرة العربية ويضعف ويقل فى الأماكن القريبة منها وكانت نتيجة هذا الصراع تختلف فيما بينها .

فعندما يكون الصراع عنيفا تخرج اللغة العربية الغازية مشوهة وعندما يكون ضعيفا تخرج منه اللغة الغازية وهى اللغة العربية سليمة لا ينالها سوى أمور ضعيفة وتعبيرات لا تذكر بعكس حالها فى الصورة الأولى والتى تكاد فيها أن تخفى على سامعيها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن اللغة العربية انتقلت إلى البيئات الجديدة فى صورتين :

**الأولى** . موحدة منسجمة وهى اللغة الأدبية النموذجية او ما يسمى باللغة الفصحى أو اللغة المشتركة وتلك هى لغة الآثار الأدبية من نثر وشعر ولغة القرآن الكريم ولقد نمت هذه اللغة فى بيئة مكة والحجاز قبل الإسلام.

**والثانية** . تشتمل على الصفات اللغوية التى امتازت بها لهجات القبائل المتباينة من تميم وقيس وأسد وحمدان وطئ وعقيل وكنانة وأزد شنوءة إبان الفتوح الإسلامية .

ولقد ظلت اللغة العربية موحدة فى البيئات العربية الجديدة زمنا طويلا ولم يصبها إلا النزر اليسير من التغيير حين استقلت هذه البيئات بعضها من بعض ، ولكنها كانت دائما مفهومة وفى متناول المثقفين من مختلف هذه الأقاليم. وظلت الآثار الأدبية القديمة نماذج تحتذى وتراثا يعتز به ويدرس فى جميع هذه البيئات المفتوحة فى جميع عصورنا التاريخية . وكانت هذه الآثار الأدبية من نثر وشعر والتى خلفها القدماء العرب بمثابة الحراس لهذه اللغة ولا ننسى فى هذا المجال أن ننسب الفضل كل الفضل للقرآن الكريم كتاب العربية المقدس فلولاه لما بقيت هذه الوحدة اللغوية للغة الأدبية النموذجية ورغم

الاستقلال السياسى الذى أصاب الأقاليم العربية فى عصور الإنحلال فلقد ظل الاتصال الثقافى بين الأقاليم العربية يكتب المصرى للسورى والسورى للجزائرى والعراقى للمغربى ، فيقرأ بعضهم لبعض لأن أداة الكتابة واحدة وثقافتهم واحدة وتقاليدهم متحدة ودينهم واحد .

هذا عن اللغة الادبية النموذجية أو اللغة الفصحى أو إن شئت اللغة المشتركة بين العالم العربى .

أما لغة الكلام العادى وأحاديث الناس فى مختلف شئونهم العامة والتافه من القول والغث من الكلام.

فقد اتخذ صورا متباينة فى كل بيئة من البيئات العربية فالناس فى أسواقهم وفى متاجرهم وفى حقولهم وفى مصانعهم وفى منازلهم ومع أطفالهم يتخذون لهجات مختلفة باختلاف الأقاليم وهو ما يعرف بالعامية أو الدارجة ومنشأ هذه اللهجات أن اللغة العربية فى صورتها الثانية التى وفدت بها إلى هذه الأقاليم كانت تشمل لهجات متباينة حيث كانت الجيوش الإسلامية الفاتحة تضم جنودا من مختلف القبائل فى شبه الجزيرة العربية من أسد وقيس وتميم وقريش وهوازن وهذيل والأوس والخزرج ... الخ.

قد جاءوا جميعا بلهجات عربية قديمة تختلف عن بعضها فى صفاتها اللغوية وهذه اللهجات هى التى صرعت لغات الكلام فى البيئات المفتوحة وحلت محلها بعد زمن ليس قصيرا فقد يصل إلى حوالى قرن أو قرنين من الزمان ولكن هذه اللهجات لم تبق فى صورتها الأصلية التى قدمت بها من شبه الجزيرة بل أصابها بعض التغير وحلت محل غيرها فى صورة جديدة نتيجة للصراع اللغوى بينها وبين تلك اللغات المغزوة والتى لم تترك المجال للغة الغازية بل اشتبكت معها فى صراع لغوى يقوى ويشتد حينا ويضعف ويزول حينا آخر ، وحين كان يشتد تخرج منه اللغة الغازية مشوهة لا نكاد نفهمها وحين كان يضعف تخرج اللغة الغازية سليمة ولم ينالها سوى النزر القليل وهذا فى الأماكن القريبة فى شبه الجزيرة العربية .

أضف إلى ذلك أن هذه الأقاليم حين استقلت وانفصلت عن بعضها بعد سقوط الدولة العباسية أهملت لهجات الكلام فيها وأخذت تتطور تطورا مستقلا يبعدها عن أخواتها .

وفوق هذا وذاك نجد أن العامية فى البلاد العربية أخذت بعض الألفاظ والمفردات من الغزاة المستعمرين من انجليز وفرنسيين وإيطاليين مما كان سببا فى زيادة بعدها عن بعض .

وعلى أية حالة فإن اللهجات العامية فى مختلف بلدان الوطن العربى تختلف فيما بينها اختلافا بينا سببه أن اللغة العربية الغازية بلهجاتها المختلفة اشتبكت فى صراع بين لغات مغزوة مختلفة فى الأقاليم فكانت نتيجة هذا الصراع أيضا مختلفة ومتباينة .

تلك هى الحقيقة ولا نستطيع الفرار منها ويجب علينا أن نواجهها بشجاعة ونعمل جاهدين على التقريب بين اللهجات العامية فى مختلف بلدان الوطن العربى حتى ينطق الجميع الفصحى لغة القرآن الكريم .

## عناصر اختلاف النطق فى العالم العربى

## ووسائل توحيده

من الممكن أن نحصر نواحى الاختلاف الصوتى بين لهجات العالم العربى فى الأمور التالية :

### ١- اختلاف فى نطق بعض الأصوات الساكنة :

فالذال والثاء والظاء فهذه الاصوات اللغوية يميل حتى المتعلمون إلى نطقها زايا وسينا وزايا مفخمة على الترتيب .

وصوت الضاد بحسب نطقنا الحالى توصف بأنها:

صوت أسنانى لثوى انفجارى مجهور مطبق ونظيره فى المخرج وجميع صفاته ما عدا الأطباق هو صوت الدال فلا فرق بين الضاد والدال إلا أن الأولى مطبق أى مفخم والثانى مرقق لا إطباق فيه .

ولكن صوت الضاد القديمة قد جاء وصفه فى كتب القدماء مخالفا لوصفه السابق فهو عندهم .

صوت مخرجه يقرب من وسط الحنك رخو مجهور مطبق وليس له نظير من حيث المخرج .

فالفرق بين الضاد الحديثة والقديمة فى المخرج وأيضا فى بعض الصفات حيث إن الحديثة شديدة والقديمة رخوة والقديمة ليس لها نظير فى المخرج والحديثة لها نظير فى المخرج وهو الدال .

ولا نجد للقديمة أثرا فى الأفواه إلا ربما فى نطق بعض العراقيين لها وبعض البلاد العربية الأخرى وخاصة عند البدو لذا نجد أن الطفل العراقى يخلط فى إملائه بين صوت الضاد وصوت الظاء تماما كما عندنا فى مصر يخلط بين هذا الصوت وهو صوت الضاد وصوت الدال نتيجة تطور النطق عندنا وعدم تطوره عندهم فهو عندهم مطبق ليس له نظير فى المخرج أما عندنا فأصبح صوت الدال نظيره فى المخرج.

وصوت القاف فى نطقنا للعربية الفصحى المعاصرة : صوت لهوى انفجارى (شديد) مهموس.

أما عند القدماء: فهو صوت من أقصى الحنك شديد (انفجارى) مجهور فهذا الصوت أصبح فى نطقنا مهموسا بعد أن كان مجهورا وتغير مخرجه عما

كان عليه قديما ونجد أن السودانيين ينطقون هذا الصوت نطقا قريبا من صوت الغين مما جعل الطفل السودانى يخلط فى إملائه بين هذين الصوتين .

وصوت الكاف فى النطق الفصيح صوت شديد وفى بعض اللهجات الحديثة صوت أميل إلى الرخاوة كما تبين ذلك فى بعض لهجات سوريا وفلسطين.

والضاد كما ننطقها اليوم تعرف صوتيا بأنها :

صوت أسنانى - لثوى انفجارى مهموس مطبق . ونظيره فى المخرج وفى كل صفاته - ما عدا صفة الأطباق - صوت التاء .

أما عند القدماء فالضاد :

صوت أسنانى - لثوى انفجارى مجهور مطبق . ونظيره فى المخرج وفى كل صفاته - ما عدا الأطباق - صوت الدال.

و عند القدماء الطاء :

صوت أسنانى - لثوى انفجارى مجهور مطبق . ونظيره فى المخرج وفى كل صفاته - ما عدا الأطباق - صوت الدال .

ومن هنا يتبين لنا أن صوت الطاء القديم مجهور على حين أنه مهموس فى نطقنا الحالى أى أن الأوتار الصوتية فى القديم تهتز وفى الحديث لا تهتز حال نطقه فلا يحدث ذبذبات:

وكان نتيجة ذلك أن عدوا الدال نظيرها لا التاء وكأن التاء عندنا هو النظير المرقق .

والجيم : اختلفت اللهجات الحديثة فى نطق هذا الصوت فهو شديد فى النطق المصرى وكثير الرخاوة فى لهجة المغرب وبعض السوريين .

أما فى القديم فهو شديد أميل للرخاوة .

**٢- اختلاف فى نطق أصوات اللين .**

وأصوات اللين عند المحدثين هى الحركات حين تكون قصيرة وحروف المدحين تكون طويلة عند القدماء فالفتحة والكسرة والضمة هى الأصوات القصيرة والألف والياء المسبوقة بكسر والواو المسبوقة بضمة هى الأصوات الطويلة .

وهذه جميعا تسمى عند المحدثين بأصوات اللين أما القدماء فأطلقوا على القصير الحركات وأطلقوا على الطويلة اسم حروف المد .

ولقد أهمل أمر أصوات اللين فى العربية وراحت تأخذ أشكالا كثيرة فى الأفواه حتى صارت إلى ما نشاهده الآن من فروق خطيرة فى البلاد العربية .

وكأن القدماء قد ظنوا لخلو الرسم العربى من هذه الأصوات القصيرة وهو ما يعرف عندهم بالحركات ظنوا أنها ليست عنصرا من عناصر اللغة

فأهملوا شأنها على حين أنها لكثرتها وشيوعها فى النطق أوضح وأبرز فى تجسيم الفروق بين مختلف اللهجات .

لذا يجب العناية بأمر أصوات اللين هذه طويلها وقصيرها ووضع مقاييس لا تحيد عنها مهما كلفنا ذلك من مشقة ، فالفرق كبير بين نطق موسى بالفتح وموسى بالإمالة ، والفرق كبير بين نطق فاطمة بصوت لين طويل وهو الألف وبين نطقنا فى العامية فطنة بصوت لين قصير وهو الفتحة .

### ٣- الاختلاف فى موطن النبر من الكلمة :

وهذا هو العنصر الثالث الذى يفرق بين النطق فى مختلف بلدان العالم العربى بل يفرق بين الأقاليم للقطر الواحد ، فكل منطقة وكل بيئة تضغط على مقطع يخالف البيئة الأخرى ولنستمع القاهرى يقرأ قول الله تعالى :"فتحرير رقبة مؤمنة " ولنستمع بعد ذلك إلى أحد أبناء الوجه البحرى أو القبلى فسنجد أن كلا يضغط على مقطع خاص يناسب ويلائم البيئة التى نشأ فيها .

هذه هى عناصر اختلاف النطق فى العالم العربى أو وسائل توحيده فيمكن إجمالها فيما يلى :

## وسائل توحيد النطق فى العالم العربى

### ١- المدرس الخاص :

تختير طبقة من المتعلمين ليكونوا رسل الوحدة فى النطق والاتجاه بالعالم العربى إلى التحدث باللغة الفصحى لغة القرآن الكريم وهؤلاء الرسل أو ما

يسمى بالمدرس الخاص والذى يصلح للتدريس فى بيئة معينة من البيئات العربية يكون قد درس دراسة علمية صحيحة عاداتها الصوتية والتى كونت لهجة الكلام فيها وأصبح جميع أفراد هذه البيئة يتميزون بها من غيرهم ، ثم يكون بالإضافة إلى ذلك على علم تام بخصائص النطق النموذجى الذى نهدف إليه والذى نريد أن يكون موحدا بين جميع أقطار العالم العربى ليحاول التوفيق بين صفات صوتية مصدرها الكلام العامى فى هذه البيئة وبين الصفات الصوتية التى ستتم المواضفة عليها فى النطق النموذجى للغة الفصحى .

فمتى عرف كل هذا سهل عليه اختيار النماذج التى يلقنها لتلاميذه ويدربهم عليها تدريبا سمعيا دون حاجة إلى إصلاح فنى أو شرح علمى فيردد الأطفال هذا ويكررونه فيصبح بالنسبة لهم عادة كلامية والأطفال وهبوا مقدرة خاصة فى التقليد ومحاكاة الكبار ويشترط فى المدرس الخاص هذا ، أن يكون ذا أذن موسيقية مرهفة وممن وهبوا القدرة على محاكاة الأصوات وتقليدها حتى إذا اصطلحنا فى النطق النموذجى الذى نرتضيه سجلناه ثم ندرسه دراسة علمية مفصلة لهؤلاء الرسل ثم ينطلقون إلى مختلف البيئات فى أنحاء العالم العربى ناشرين النطق النموذجى هذا فى معاهد التعليم .

٢- وهناك وسيلة أعم نفعا من هذا وهى الإذاعة فيجب تدريب المذيعين تدريبا صوتيا على النطق النموذجى بحيث يردده على آذان السامعين

فى جميع الأوقات ولا تقتصر على البيئة المدرسية بل الإذاعة يسمعها العام والخاص الكبير والصغير .

فيجب علينا على امتداد أنحاء الوطن العربى أن نعتنى بالمذيعين الذين يقومون بهذه المهمة وننشئهم تنشئة خاصة نراعى فيها العناية بنطقهم ونجعلهم أداة نافعة فى هذا المجال .

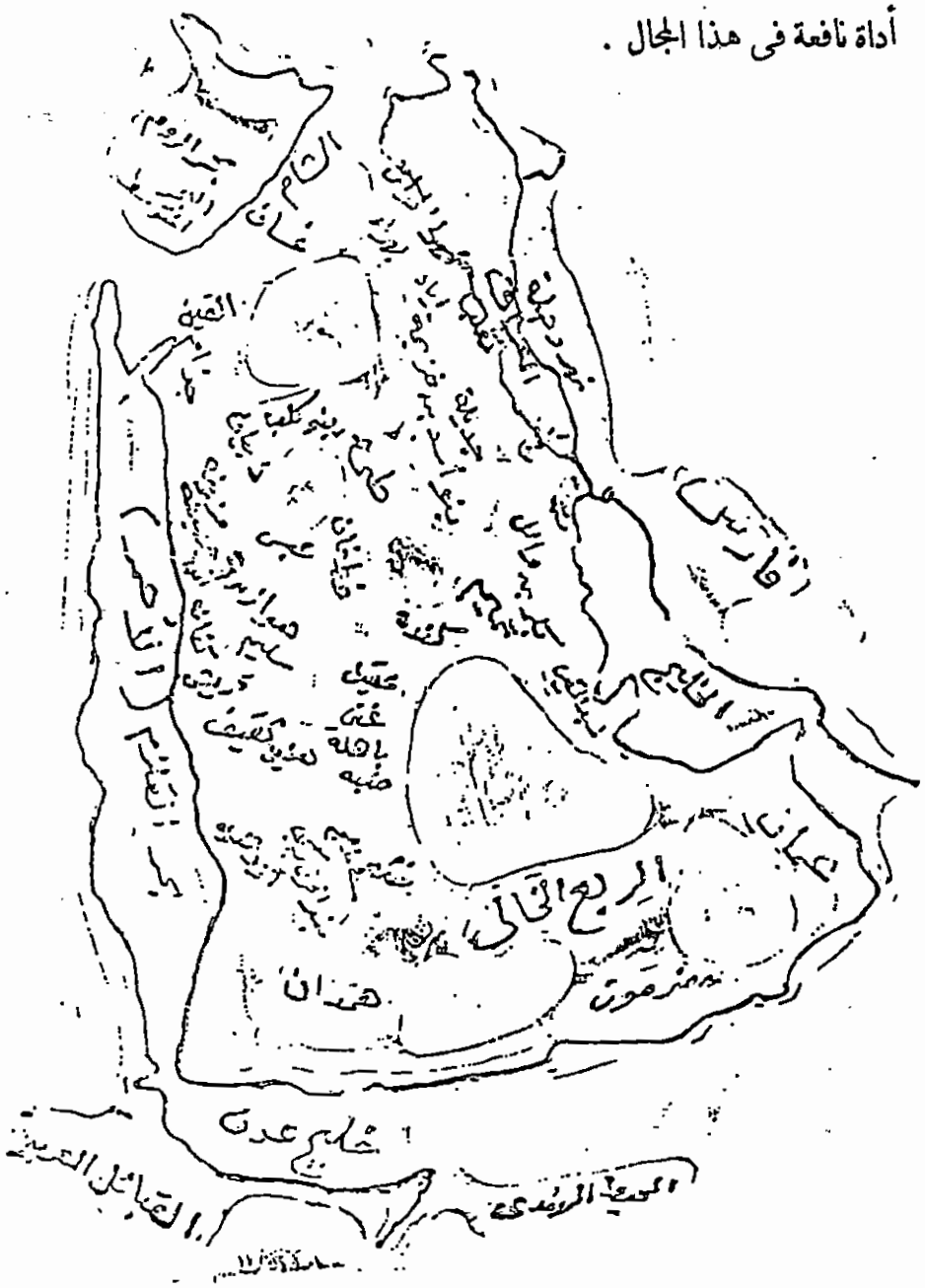

# القبائل العربية

لقد تعددت اللهجات العربية بتعدد القبائل وحيث كان الأمر كذلك فيجب علينا أن نعرض فى شئ من الإجمال إلى تلك القبائل حتى نكون على بينة من أمرهم وبالتالى من أمر لغاتهم.

والرأى الذى اتفق عليه الرواة او كادوا يتفقون عليه أن العرب الباقية تنقسم إلى قسمين :

(أ) قحطانية منازلهم الأولى فى اليمن وهى العربية الجنوبية .

(ب) وعدنانية منازلهم الأولى فى الحجاز وهى العربية الشمالية .

وهم متفقون على أن القحطانية عرب منذ خلقهم الله فطروا على العربية فهم العرب العاربة وعلى أن العدنانية قد اكتسبوا العربية اكتسابا وكانوا يتكلمون قبلها لغة أخرى هى العبرية أو الكلدانية ثم تعلموا لغة العرب العاربة فمحيت لغتهم الأولى من صدورهم وثبتت فيها هذه اللغة الثانية المستعارة ، وهم متفقون على أن هذه العدنانية المستعربة إنما يتصل نسبها بإسماعيل بن إبراهيم ، وهم يرددون حديثا يتخذونه أساسا لكل هذه النظرية ، وخلاصته " أن أول من تكلم بالعربية ونسى لغة أبيه إسماعيل ابن إبراهيم " .

وعلى هذا كله يتفق الرواة ولكنهم يتفقون على شئ آخر أيضا أثبته البحث الحديث وهو أن هناك خلافا قويا بين لغة حمير (وهى العرب العاربة) ولغة عدنان (وهى العرب المستعربة) .

وقد قرئ عن أن عمرو بن العلاء أنه كان يقول :"ما لسان حمير بلساننا ولاعربيتهم بعربيتنا " .

ويقول ابن جنى :" لسنا فى بعد لغة حمير عن لغة بنى نزار" .

وسنوضح موقفنا من هذه القضية فيما يلى :

## بين العدنانية والحمرية

من المعروف أن لغة اليمن كانت عند ظهور الإسلام تشبه لغة عرب الشمال لدرجة أنه لم يكن من العسير أن يفهم كل من الفريقين الآخر ، أما اليمنية القديمة وتشمل (المعينية والسبئية والحضرمية والقتبانية والحميرية القديمة ) فتختلف عن العربية العدنانية اختلافا كبيرا يدل عليه ما بين النقوش اليمنية واللغة العدنانية من فروق جوهرية من عدة نواح .

ومن ثم كان هذا القول صحيحا ، وكان قول من يرى أن اتحاد اللغتين أو تقاربهما صحيحا أيضا فمن نظر إلى الحميرية القديمة رأى الرأى الأول كأبى عمرو بن العلاء وابن جنى ومن تبعهما .

ومن نظر إلى الحميرية الحديثة التى كانت وليدة تطور اللغة اليمنية القديمة رأى الرأى الثانى .

ومن الممكن أن نلخص ما بين العدنانية والحميرية القديمة من فروق هى :

**أولا : من حيث التنكير والتعريف :**

تستعمل الحميرية القديمة الميم للدلالة على التنكير بدلا من التنوين فيقال ملكم أى ملك ، ولم تظهر أداة التعريف فى الحميرية القديمة ولكنها ظهرت فى عصور متأخرة وهى الألف والميم بدلا من الألف واللام ، وقد ظلت كذلك إلى أن جاء عصر الإسلام ، ففى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس من أمبر امصيام فى امسفر" .

**ثانيا : من حيث التثنية والجمع .**

فعلامة الجمع فى الحميرية هى الميم كعلامة التنكير ، والسياق يفرق بينهما ، فيقال ملكم أى ملوك .

ويبدو أن الحميرية قد تأثرت هنا بالعبرية التى علامة الجمع فيها الميم المسبوقة بياء المد .

ويصاغ المثنى فى الحميرية بإضافة نون فياء إلى المفرد عكس ما هو متبع فى العربية الشمالية فيقال فى تثنية ملك : ملكنى .

**ثالثا: من حيث ضمائر الغياب :** الحميرية تستعمل ضميرا واحدا الغائب متصلا كان او منفصلا وهو "هو" .

فيقال : ملكهو بمعنى ملكه ؛ وتضاف الميم إلى آخر الضمير المتصل الدال على جماعة الغائبين فيقال ملكهوم بمعنى ملكهم .

**رابعا : فى بعض صيغ الزيادة فى الأفعال .**

فالهاء فى الحميرية تحل محل همزة التعدية فى العربية فيقال : هقنى بمعنى أقنى ، وهذه ظاهرة تشترك فيها الحميرية والعبرية .

**خامسا** : من حيث إسناد الفعل الناقص إلى واو الجماعة ، فالحميرية لا تحذف لام الفعل الناقص قبل واو الجماعة مثل هقنيوا أما المضرية فتحذفها كما هو معروف "أقنوا" .

من هنا يتبين لنا بجلاء أن ما اشتهر وتداول عند الباحثين من العرب من أن اللغة اليمنية واللغة العربية تمثلان لهجتين للغة واحدة ، وأن الخلاف بينهما لا يعدو أمورا يسيرة يبدوا بعضها فى الأصوات والمفردات وبعضها فى القواعد ، لذلك كانوا يقسمون العربية قسمين :

١- العربية العدنانية أو المضرية وهى لغة الشمال والحجاز ونجد وما إليهما .

٢- الحميرية والقحطانية وهى لغة أهل اليمن .

إن هذا الرأى صحيح فيما يتعلق بلهجات أهل اليمن بعد أن تغلبت العربية على ألسنتهم ولكنه غير صحيح فيما يتعلق باللغات اليمنية القديمة والتى بينا مدى الفرق الواضح بينها وبين العربية الشمالية .

ولقد فطن بعض باحثى العرب إلى ذلك كأبى العلاء وابن جنى كما ذكرنا .

وتتميما للفائدة نذكر بعض قبائل عرب الشمال وعرب الجنوب .

فالعدنانيون وهم عرب الشمال كانوا يقيمون فى تهامة ونجد والحجاز وبادية العرب فيما بينها ويرجعون إلى فرعين يلتقيان فى عدنان وهما : عك ومعد ، فأما عك فقد بقيت منهم بقية إلى ظهور الإسلام وأما معد فهم الدوحة الكبيرة والبطن العظيم الذى تناسلوا منه ، وقد كانت قبيلة واحدة كبيرة ثم تفرعت إلى فرعين :

هما نزار وقنص ، ثم تفرعت نزار إلى فرعين :

أنمار ومضر وربيعة وإياد وقضاعة عند من بعدها عدنانية وتحت كل فرع من هذه الفروع قبائل كثيرة ، غير أن مضر اشتهرت بالفصاحة حتى صاروا يسمون هذه اللغة بالمضرية ، ومن أشهر قبائل مضر كنانة التى تعد قريش إحدى بطونها ثم تميم وقيس وأسد وهذيل وضبة ومزينة :

**وأما القحطانيون :**

فكانوا يسكنون كما قدمنا جنوب الجزيرة العربية اليمن وما حولها ومنهم حمير الباقية وغسان ولخم والأزد وكندة وطئ ومذحج وقضاعة عند من بعدها منهم وتحت كل قبيلة من قباءل العدنانين والقحطانين بطون وأفخاذ وعشائر وفصائل لا داعى لذكرها فى هذا المقام .

## العربية الباقية

وهى التى ينصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها والتى لا تزال تستخدم عندنا وعند الأمم العربية الأخرى لغة أدب وكتابة ، وانتشرت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز ثم انتشرت فى كثير من المناطق التى كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية والحامية .

### طفولتها :

لا يعلم شئ عن طفولة هذه اللغة إذ لم يعثر للآن على آثار منقوشة أو مكتوبة فى مواطنها الأولى بنجد والحجاز لتفصح لنا عن حالتها الأولى وما كانت عليه من سعة أو ضيق بل حين نفكر فى حال هذه اللغة قبل ظهور المسيحية مثلا نجد أننا فى ظلام دامس ، وذلك راجع إلى أنه ليس بين أيدينا كما قلت نصوص عربية ترجع إلى تلك الحقبة من الزمن . إذ أقدم ما عثر عليه من نصوصها لا يكاد يتعدى القرن الثالث الميلادى ، وليس معنى هذا أن اللغة العربية أحدث من أخواتها السامية أو أنها لم توجد قبل المسيحية ، بل يؤكد لنا المستشرقون أن اللغة العربية المألوفة لنا ، والمعروفة لدينا ، والممثلة فى الأدب الجاهلى والقرآن الكريم احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأولى أو السامية الأصلية أكثر من إخواتها من اللغات السامية الأخرى إذ فيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل وصيغ كثيرة لجموع التكسير وغير ذلك من الظواهر

اللغوية الكثيرة والتى احتفظت بها العربية دون ما عداها من أخواتها السامية ، والتى يؤكد لنا الباحثون اللغويون أنها منحدرة من اللغة السامية ، والتى يؤكد لنا أن لغة كاللغة العبرية قد مرت بمراحل التطور والتغير أكثر من المراحل التى مرت بها لغتنا العربية وأما ندرة النصوص العربية التى يمكن أن ترجع إلى ما قبل ظهور المسيحية هو شيوع الأمية فى شبه الجزيرة العربية .

ومع ذلك يصر المستشرقون أن كثيرا من النقوش التى عثر عليها فى شمال الجزيرة العربية يمثل اللغة العربية قبل المرحلة التى تشملها نصوص الأدب الجاهلى .

ونرى أنه لا مانع أن نهتدى بهذه النقوش ولغتها حتى يمكن إلقاء الضوء على تلك المرحلة المظلمة فى هذا العصر مع الاحتراس وعدم الانسياق وراء المستشرقين إلا إذا كشف لنا ما يرجح كفتهم فى هذا الموضوع الدقيق .

من هنا يتضح لنا أن الأدب الجاهلى لا يعد الامتداد الطبيعى لهذه النقوش ولكن هناك فجوة لم نصل إليها بعد .

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المجال أن الوحدة اللغوية التى صادفها الإسلام حين ظهوره وقواها القرآن الكريم بعد نزوله لا تنفى ظاهرة تعدد اللهجات عمليا قبل الإسلام . وبقاءها بعده ، بل من المؤكد أن عامة العرب لم يكونوا يعبرون بلهجاتهم الخاصة ، وتظهر على تعابيرهم صفات لهجاتهم وخصائص ألحانهم .

# صراع اللهجات العربية الباقية

## وسيادة لهجة قريش

لم يكن المتكلمون بالعربية الباقية طائفة واحدة رغم انتسابهم إلى العرب ولكنهم كانوا قبائل كثيرة متفرقة فى أنحاء الجزيرة تختلف كل منها عما عداها فى البيئة الجغرافية وما يكتنفها من ظروف طبيعية واجتماعية وما تمتاز به نواحى التفكير والوجدان وما أتيح لكل منها من سبل الثقافة والمعرفة .

ومن المعلوم أن اللغات إذا انتشرت فى مساحة كبيرة من الأرض واستعملتها طوائف من الناس ذات أنماط مختلفة استحال عليها حينئذ الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا حتى تصبح لهجات عدة تختلف كل منها عن الأخرى فى كثير من مظاهر الأصوات والدلالة والقواعد والمفردات .

اللغة العربية الباقية والتى نحن بصدد الحديث عنها ينطبق عليها هذا القانون العام كما ينطبق على غيرها فقد اتشعبت منذ أقدم عصور إلى لهجات متنوعة يختلف كل منها عن الأخرى فى المظاهر الصوتية والقواعد والمفردات والدلالة وما إلى ذلك .

وأصبحت كل قبيلة متحدة فى الظروف الاجتماعية والطبيعية تختص بلهجة من هذه اللهجات وأصبحت تعرف بها وتنسب إليها مميزاتها وصفاتها إلا أنه مع ذلك أتيح لهذه اللهجات المختلفة فرص كثيرة للاحتكاك لتبادل المنافع من تجارة وغيرها فاجتمعت فى الأسواق واتصلت عند شن الغارات والحروب

فهذه الاتصالات أوجدت سبيلا لتصارع اللهجات فباد الضعيف وانتشر القوى وما زالت اللهجات تتصارع على مر الأيام وتوالى السنين حتى كسب للقرشية التغلب آخر الأمر فطغت على جميع اللهجات الأخرى فى المحادثة واستأثرت بميادين الأدب شعرا ونثرا وخطابه فى مختلف القبائل العربية فأصبح العربى أيا كانت قبيلته يؤلف شعره وخطابته ونثره الأدبى بلهجة قريش لأسباب هيأت لها سبيل النصر أهمها :

**١- السلطان الدينى :**

فقد كان لقريش مكانه دينية ممتازة لقيامهم بسدانة البيت الحرام والذى يفد إليه معظم القبائل لتقديم قرابينهم وتقديس آلهتهم وشهود منافع لهم فكان لقريش بذلك السلطان الدينى على بقية القبائل العربية .

**٢- السلطان الاقتصادى :**

لقد كان لقريش بجانب السلطان الدينى سلطان اقتصادى كبير إذ كان زمام التجارة بأيديهم فكانوا يجلبون البضائع من الشام صيفا واليمن شتاء ويوزعونها على القبائل العربية الأخرى فأصبحوا بذلك قبلة أنظار العرب جميعا وبفضل هذا النشاط التجارى أصبح زمام الثروة فى هذه البلاد بيد قريش ومصداقا لهذا كله قوله سبحانه وتعالى : "**لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**".

### ٣- السلطان السياسى:

وهذا النفوذ نتيجة طبيعة للعاملين السابقين الدينى والاقتصادى وأيضا لموقع بلادهم وما كانت تمتاز به حضارة علم فأصبح لهم نفوذ عند العرب جميعا ويرشدنا إلى ذلك ما قاله سيدنا أبو بكر فى رده على الأنصار الذين طمعوا فى الخلافة بعد وفاة النبى ﷺ: "لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش فلا تنفسوا على إخوانكم ما حباهم الله به من فضله".

### ٤- السلطان اللغوى:

إن القرشيين لم يقفوا حجر عثرة فى سبيل تقدم لغتهم بل عملوا على نموها فأضافوا إليها ما هى فى مسيس الحاجة إليه وما رأوه أخف على أسماعهم وأيسر على ألسنتهم لهذا كانت لهجة قريش أوسع اللهجات العربية ثروة وأغزرها مادة وأرقها أسلوبا وأدناها إلى الكمال وأقدرها على التعبير فى فنون القول المختلفة.

وقد تم لها ذلك بفضل ما أتيح لأهلها من وسائل الثقافة والنهوض وما أتيح لها من فرص كبيرة للاحتكاك بمختلف اللهجات العربية انتقل إليها من هذه اللهجات من عناصر زادتها ثروة وأكملت النقص الذى كان موجودا بها.

فهذه العوامل مجتمعة هيأت للقرشية سبيل الفوز والغلب ومكنتها من أن تصبح لغة العرب جميعا بفضل ما كان لأهلها من سلطان دينى واقتصادى وسياسى وما كان لها من تفوق على أخواتها إذ كان أكثرها ثروة وأغزرها

مادة وأوسعها ثقافة وأقدرها على التعبير عن فنون القول المختلفة وليس فى تغلب اللغة القرشية أو اللهجة القرشية إذن ظاهرة فذة فى تاريخ اللغات أو يرجع سبب ذلك إلى إرهاص أو اعجاز بل هذه ظاهرة عامة فى كل لغات بنى الإنسان .

ما استفادته القرشية من هذا الصراع :

ولقد استفادت القرشية من صراعها هذا مع اللهجات الأخرى أمور كثيرة أهمها .

١- استفادت كثيرا من المفردات والأساليب ولا سيما النواحى التى كانت تنقصها فتنوعت فنون القول وتمكنت من التعبير عن جميع الأغراض المختلفة وقد غنيت بالترادف والمشترك والمتضاد كما سيتبين لنا عند الحديث على هذه الظواهر وغير ذلك من الأمور كانت سببا فى نمو اللغة وسنتها .

٢- أصبحت اللغة القومية للعرب جميعا بلا استثناء وهذا راجع إلى أن اللغات إذا تصارعت نتيجة احتكاكها ببعضها وكتب لإحداهما الفوز إتجه الجميع إلى التكلم بها ولذلك أصبحت القرشية لغة الشعراء فى أشعارهم والخطباء فى خطبهم لأنه لكى يؤدى الخطيب رسالته كاملة واضحة وليترك سامعيه مشدوهين معجبين بقوله ولياقته كان عليه أن يتحاشى تلك الصفات المحلية التى تتصل بلهجة من اللهجات وأن يتحدث إلى القوم بلغة تواضعوا عليها وألفوها جميعا وهى اللغة الأدبية النموذجية والمتمثلة فى لغة قريش ولهجاتها .

كذلك كان لابد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة أو عجعجة أو كشكشة لينال إعجاب سامعيه ولا يكونون موضع سخريتهم وهزئهم وإلا فكيف كان الممكن تفضيل شاعر على شاعر آخر فى المناظرات التى كانت تعقد بين الشعراء إذا كانت اللغة وأداة القول بينهم متفاوتة لذا كانت اللغة موحدة إلا فى القليل النادر وهو الذى كان عليه الاعتماد فى التعرف على اللهجات المختلفة .

٣- نزول القرآن الكريم : فقد بعث النبى صلوات الله عليه وسلم للعرب خاصة وللأمم عامة فذلك أنزل الله كتابه باللغة القومية السائدة عند العرب وهى لغة قريش وقد اكتسبها كثيرا من الألفاظ الإسلامية كالصلاة والزكاة والصوم والحج بمعانيها الشرعية .

٤- تقوية سلطانها : فقد كان لنزول القرآن الكريم بها وهو مصدر عبادتهم ، ومنهاج شريعتهم أثر كبير فى تقوية سلطانها لأن العرب وقد دخلوا هذا الدين الحنيف لابد أن ينظروا إلى هذه اللغة التى نزل بها كتاب الله نظرة رعاية وتقديس فتوطدت أركانها وثبتت دعائمها .

## معالجة القدامى للهجات

اختلفت النظرة إلى اللهجات العربية باختلاف العصور والعوامل الاجتماعية والسياسية فى كل عصر من هذه العصور .

فإذا نظرنا قبل الإسلام وجدنا أن كل قبيلة قد تمسكت بصفاتها الكلامية فى حديثها العادى وفى لهجات التخاطب فيما بينها هذا من جهة العامة من القوم .

ولكن الخاصة من الناس فى هذه القبائل كانوا يلجأون إلى اللغة النموذجية والتى نشأت فى مكة فى شئونهم الجدية فينظمون الشعر بها ويخطبون ويتناظرون بها ويستعملونها فى الأسواق العامة للعرب كسوق عكاظ مثلا وكانوا ينفرون من صفات اللهجات فى مثل هذه الميادين لئلا تنفر منهم النفوس فكان رؤساء القبائل يرون عيبا أن يخطبوا فى سوق عكاظ بتلك اللهجة الخاصة بهم كما كانوا يرونه عيبا أن يتحدثوا إلى قبائلهم بغير تلك اللهجات وهذه الحال كانت معروفة ومتواضعا عليها بين القبائل بلا استثناء ولذلك لم نجد روايات جاهلية تسخر من الصفات الكلامية لقبيلة من القبائل أو تقدح فيها .

ولما جاء الإسلام رسالة عامة لخاصة العرب وعامتهم بل لكل البشر فى أنحاء المعمورة وأراد أن يتألف قلوب العامة والخاصة معا أباح أن يقرأ القرآن الكريم ببعض الصفات اللهجية الخاصة ببعض القبائل إذا لم يكن فى مقدور

العامة غيرها ، وهذا ما أشار إليه الحديث النبوى الشريف " أنزل القرآن على سبعة أحرف " تيسيرا على عامة العرب وتأليفا لقلوبهم .

فالقرآن الكريم وإن نزل بلهجة موحدة ولغة أدبية موحدة أبيح فى قراءته الخروج عن تلك اللغة الموحدة وهذا معروف ومقرر لدى الباحثين .

ثم اتسعت الدولة العربية حتى شملت دولا كثيرة فكان لابد لضمان وحدتها والقضاء على عوامل الفرقة فيها ألا تعطى اللهجات العربية من العناية والأهمية ما يكون سببا فى زيادة العصبية بين القبائل ويباعد بينها ويوهن من قوتها ويشتت جمعها ويقل من عزمها فأهمل أمر هذه اللهجات والصفات الخاصة بها ولم يرد عنها إلا القليل فى ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ.

## مقياس الفصاحة لدى العلماء

من الأمور التى استقر عليها الرأى بين جمهور العلماء القدامى أن القرآن الكريم يحتج به فى إرساء قواعد اللغة ، ولا خلاف بين جمهور العلماء فى هذا .

أما من ناحية المروى من الشعر العربى فقد أجمعوا أيضا على الاحتجاج بالشعر الجاهلى ، كشعر طرفة وامرئ القيس وأمثالهم ، وكذلك أجمعوا على الاحتجاج بشعر المخضرمين ، وهم الذين عاشوا فى العصر الجاهلى ، وصدر الإسلام ، ونظموا شعرا فى المرحلتين كحسان ابن ثابت وكذلك بشعر الإسلاميين حتى منتصف القرن الثانى الهجرى أمثال جرير والفرزدق

والأخطل، وإن كان بعض المتشددين من علماء العربية كأبى عمرو بن العلاء كان يرفض الاستشهاد بالشعر الإسلامى ، فقد روى عنه أنه كان يقول : لقد حسن هذا الولد – يقصد بهذا شعر الفرزدق وجرير – حتى كدت آمر صبياننا بروايته .

يقول عنه تلميذه الأصمعى :"لقد لازمته عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامى قط" .

أما الحديث وموقف العلماء من الاستشهاد بنصوصه فى قواعد اللغة فقد انقسموا إلى فريقين :

الفريق الأول : وهم معظم العلماء فيمنعون الاستشهاد بالحديث فى قواعد اللغة وحجتهم فى هذا أن الأحاديث تجوز روايتها بالمعنى ، وأيضا أن الرواة كانوا من المولدين عاشوا بعد عصور الاحتجاج وهم يجوز عليهم اللحن.

الفريق الثانى : وهم قليلون وهؤلاء أجازوا الاحتجاج بالحديث لأنه إذا جاز اللحن فى الحديث فمن باب أولى يجوز فى الشعر والوازع الدينى يساعد على تذكر الأحاديث دون الشعر.

ولقد اشتد الخلاف بين النحاة المتأخرين وخاصة فى القرنين السابع والثامن من الهجرة فعلى رأس المانعين الاستشهاد بالأحاديث فى مسائل اللغة ابن الضائع الأشبيلى وأبو حيان .

وعلى رأس الفريق المقابل ابن مالك وابن هشام .

وذهب بعض المحدثين إلى تقسيم الأحاديث إلى قسمين قسم فيستشهد به وقسم آخر لا يحتج به .

فسنشهد بالأحاديث التالية :

١- ما يروى بقصد الاستدلال على فصاحة الرسول ﷺ مثل (مات حتف أنفة) و (حمى الوطيس) .

٢- ألفاظ القنوت والتحيات والأدعية وغير ذلك من ألفاظ التعبد .

٣- أحاديث من مصادر متعددة بلفظ واحد .

٤- أحاديث يرويها أولئك الذين ربوا فى بيئة عربية كأنس بن مالك والشافعى .

أما القسم الثانى من الأحاديث فلا يحتج به كتلك التى دونت متأخرا أو التى شذت روايتها أو التى غمزت فى صحتها :

وهذا الرأى أعدل الآراء وأرجحها فى نظرى .

أما ما يسمع من القبائل من كلام منثور فقد وجدنا العلماء يفرقون بين القبائل يأخذون عن بعضها ويرفضون الأخذ عن البعض الآخر .

فقد أورد السيوطى فى كتابه المزهر : (أن أبا إبراهيم الفارابى قد حدد فى أول كتابة المسمى بالألفاظ والحروف ) أسماء القبائل التى يحتج بكلامها وأسماء القبائل التى لا يستشهد بما يسمع منهم فيقول السيوطى نقلا عنه :" لقد كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما فى النفس والذين عنهم

نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد كان هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمة ، وعليهم اتكل فى الغريب وفى الأعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم . فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم لسائر الأمم الذين حولهم . فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة وغسان وأياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ، ولا من تغلب والنمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ن ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهنود والفرس . ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من أمم فسدت ألسنتهم ، والذى نقل اللغة واللسان العربى عن هؤلاء وأثبتها فى كتاب فصيرها علما . وصناعة هم أهل البصرة والكوفة من بين أمصار العرب[1] ومن هنا يظهر لنا أن أساس الفصاحة دعامتان" .

**الأولى** : مقدار قرب أماكنها من مكة وما حولها .

**الثانية** : مقدار توغلها فى البداوة .

---

(١) المزهر للسيوطى جـ١ ص ٢١٢.

## أدلة تعدد اللهجات

والذى يدلنا على أن اللغة العربية بها لهجات متعددة . أمور متعددة أهمها ما يأتى :

١- أنه قد وصل إلينا عن العرب كلمات متحدة الأصوات إلا فى صوت واحد قد حصل فيه التغيير وكلها تدل على معنى واحد وذلك مثل قولهم فى مستقبل وجل : يوجل وياجل ويبجل ، ومثل قولهم أراق وهراق ، وكذلك وردت كلمات تتحد جميع أصواتها إلا فى الترتيب وهى ما يسمى بالقلب المكانى مثل جذب وجبذ ، وأيس ويئس والمعنى متحد ولكن اختلف الترتيب.

٢- أنه قد وصل إلينا بعض ألفاظ يدل الواحد منها على أكثر من معنى ولكنها غير متضادة وهى ما يسمى بالمشترك اللفظى مثل العين فإنها تدل على معانى كثيرة منها الباصرة وعين الماء والذهب ، والجاسوس .

٣- وصل إلينا بعض الألفاظ التى تدل على المعنى وضده وهو ما يعرف بالتضاد مثل الجون للأسود الأبيض ، والسدفة للضوء والظلمة والجلل للعظيم والحقير.

٤- وصل إلينا ألفاظ مختلفة فى حروفها متحدة فى معانيها وهو ما يعرف بالترادف ريب وشك ، وقعد جلس ، وذهب وسار ومشى .

ومثل هذه الأشياء لا تأتى إلا إذا كان قائليها مختلفة بيئاتهم ومتعددة لهجاتهم ، فلا معنى لأن تنطق الأمة بعدة ألفاظ للدلالة على معنى واحد فاللغة وجدت للتفاهم وسد الحاجة إلى ذلك فيصبح هذا التعدد عبثا .

وأدخل فى باب الغرابة أن تنطق الأمة باللفظ للمعنى وضده إذ يستحيل ذلك فلا يبقى إلا تعدد الوضع أى تعدد اللهجات .

ومما يؤكد هذا ما ذكره ابن خالويه فى شرح الفصيح حيث قال:

"أخبرنا ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال : اختلف رجلان فى الصقر فقال أحدهما السقر بالسين وقال الآخر الصفر بالصاد ، فتحا كما إلى أول قادم عليهما فقال الأعرابى الثالث أما أنا فأقول الزقر بالزاى ثم قال ابن خالوية : فدل على أنها ثلاث لغات " أى ثلاث لهجات .

ومثل ذلك ما ذكره ابن السكيت حيث قال :"حضرنى أعرابيان من بنى كلاب فقال أحدهما إنفحه ، وقال الآخر منفحة، ثم افترقا على أن يسألا جماعة من أشياخ بنى كلاب ، فاتفق جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا" فهما لغتان أى لهجتان .

وليس هذا غريبا أن تكون قبيلة كلاب ذات لهجتين مختلفتين فى بعض الظواهر اللغوية التى قد يكون بعضها منقول إليها بطريق الاستعارة أو المهاجرة ثم بمضى الزمن تنوسى هذا الأصل وأصبح عنصرا معترفا به فى اللهجة ، يقول

ابن سيدة فى مخصصه (إن أبا عبيد روى عن الكسائى النحوى أن المضارع من نمى إنما هو ينمى بالياء ، وقال الكسائى لم أسمع ينمو بالواو إلا من أخوين من بنى سليم ثم سألت عنه جماعة من بنى سليم فلم يعرفوه بالواو ) .

فهذه الرواية أيضا تدل على تعدد اللهجات ليس بين القبائل المختلفة فحسب بل أيضا أحيانا بين الفخذين او أبناء القبيلة الواحدة ومرجعه كما قلت هو الاستعارة من قبائل أخرى أو المهاجرة .

ومما يدل على اللهجات أيضا ما روى أبا هريرة لما قدم من دوس عام خيبر لقى النبى ﷺ ، وقد وقعت من يده ﷺ السكين فقال له : ناولنى السكين ؛ فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم المراد من اللفظ فكرر له الرسول القول ثانية وثالثة وهو يكرر ما بدأه . أولا من الالتفات يمنه ويسره ثم قال آلمدية تريد ؟ وأشار إليها فقال له : نعم فقال له : أو تسمى عندكم سكينا ؟ ثم قال : والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ . وأيضا مما يدل دلالة قاطعة على تعدد اللهجات أن رسول ﷺ كان يخاطب الوفود العربية بلهجاتهم حتى إن عليا رضى الله عنه قال له حين سمعه يخاطب وفد بنى نهد وهى قبيلة باليمن . " يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره " .

فهذه النصوص وتلك الأدلة قاطعة على أن العرب كانوا يتكلمون لهجات مختلفة وإن تقاربت وألفاظ مختلفة وإن اتحد مدلولها وكلمات متباينة للمعانى وإن اتحدت أبنية كل منها .

والوحدة اللغوية التى صادفها الإسلام حين ظهوره وقواها القرآن الكريم بعد نزوله كما قلت سابقا لا تنفى ظاهرة تعدد اللهجات عمليا قبل الإسلام وبقاءها بعده بل من المؤكد أن عامة العرب كانوا فى بيئاتهم يعبرون بلهجاتهم الخاصة بهم وتظهر على تعابيرهم صفات لهجاتهم وخصائص ألحانهم وكان الخاصة منهم عندما يذهبون إلى الأسواق الأدبية يلجأون إلى التحدث باللغة المثالية الموحدة .

وأقرب مثل لهذا فى وقتنا الحاضر المثقفون منا والذين نشأوا فى القرى يلجأون إلى اللغة الفصحى فى المجالات الأدبية والندوات العلمية وحينما يرجع إلى قريته تكلم بلهجته التى تعودها فى صغره حتى لا يرمى بالتكبر والتعالى على أهله وعشيرته .

ولكن كيف نقف على خصائص هذه اللهجات وأى المصادر توصلنا إلى ذلك ورغم أننا أشرنا إلى ذلك منذ قليل انه من الأفضل أن نجمل هذه المصادر فى:

**١- المصدر الأول :**

القراءات القرآنية المروية عن أئمة القراء التى نقلت إلينا قراءتهم من طريق لا يتسرب إليها الشك.

**٢- المصدر الثانى :**

ما نقله إلينا الثقاة فى كتب اللغة والنحو والأدب والتاريخ من آثار تلك اللهجات وصفاتها وخصائصها إلا أن هذه الآثار مبعثرة هنا وهناك كما بينا ذلك سابقا .

## مظاهر اختلاف اللهجات

الاختلاف بين اللهجات العربية متعدد النواحى مختلف الجهات فبعضه يتعلق بالحروف وبعضه يتعلق بالحركات وبعضه يتعلق بالهيكل النطقى وبعضه يتعلق بالخصائص التركيبية ، وبعضه يتعلق بالتردد بين الإعراب والبناء وبعضه يتعلق بالزيادة والنقصان .

وعلى الجملة ما وصل إلينا من اللهجات يمكن أن نحصر مظاهر اختلافه تحت الأنواع التالية :

١- الفتح والإمالة

٢- الفك والإدغام .

٣- الإبدال فى الحروف والإبدال فى الحركات.

٤- الخصائص التركيبية فى اللهجات العربية .

٥- الاختلاف فى أوجه البناء والبنية .

٦- الزيادة والنقصان .

٧- الهيكل النطقى .

٨- تعدد المعنى للفظ واحد .

٩- تعدد الألفاظ لمعنى واحد .

١٠- تقديم بعض حروف الكلمة على بعض .

١١- التصحيح والإعلال .

وسنتناول بمشيئة الله تعالى هذه الظواهر بالشرح والإيضاح حتى تكون على بينة من أمر ما فيها من لهجات مع التعرض لمناسبة هذه اللهجات لقائليها ما أمكن ذلك .

## أولا : الفتح والإمالة

الفتح كما بينه ابن الجزرى فى كتابه النشر عبارة عن : فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف ويقال له أحيانا النصب .

وأما الإمالة فهى أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة . وبالألف نحو الياء (كثيرا) وهو المحض ويقال له الإضجاع .

وتنقسم الإمالة إلى شديدة وإمالة متوسط .

والذى يعنينا فى هذا المبحث هو إلى أى القبائل ينسب الفتح وإلى أيها تنسب الإمالة.

وبالرجوع إلى المصادر التى تعرضت لعلاج هذه الظاهرة نجد أن العلماء قد أجمعوا على نسبه الفتح لأهل الحجاز ، ونسبة الإمالة لعامة أهل نجد تميم وأسد وقيس .

يقول ابن الجزرى فى كتابه النشر نقلا عن الدانى :"والإمالة والفتح لغتان (أى لهجتان) مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس" .

فمن هذا النص والنصوص المناظرة له يتبين لنا أن القبائل العربية قبل الإسلام وبعده قد انقسمت إلى قسمين :

القسم الأول : وهو بصفة عامة جميع القبائل التى كانت مساكنها غربى الجزيرة بما فى ذلك قبائل الحجاز أمثال قريش والأنصار وثقيف وهوازن وسعد بن بكر وكنانة ، وهذا القسم ينسب إليه الفتح .

والقسم الثانى: وهو جميع القبائل التى عاشت فى وسط الجزيرة وشرقيها ومن أشهرها تميم وأسد وطئ وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب . وهذا القسم ينسب إليه الإمالة .

وبالنظر إلى هذا التقسيم ودراسة البيئة التى كانت تنتظم كلا من هؤلاء وهؤلاء نستطيع القول : " بأن الإمالة كانت شائعة بين القبائل البدوية فى وسط شبه الجزيرة العربية وشرقيها ، كما أن الفتح كان شائعا بين القبائل التى كانت فى غربى الجزيرة ، وهذه القبائل كانت بيئتها بيئة متحضرة .

كانوا يميلون فى كلامهم للاقتصاد فى الجهود لما فيها من الانسجام بين الأصوات وذلك لأن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة ، ولا شك أن

الإنحدار أخف من الارتفاع ، ولقد تنبه إلى ذلك ابن الجزرى حيث يقول فى كتابه النشر :"وأما فائدة الإمالة فهى سهولة اللفظ وذلك لأن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع " .

والذى يخيل إلينا أن الإمالة كانت مرحلة سابقة والفتح مرحلة حديثة متطورة نظرا لشيوع الإمالة بين القبائل التى كانت تسكن وسط الجزيرة وشرقيها وهذه القبائل يغلب عليها البداوة ، وأما الفتح فكان شائعا بين القبائل التى كانت تقطن غربى الجزيرة ، وهذه القبائل يغلب عليها طابع التحضر . بقى لنا فى علاج ظاهرة الفتح والإمالة ما ذكره ابن جنى من أن هناك نوعا من الإمالة وهو الإمالة من الكسر إلى الضم من الفعل الثلاثى الذى قلبت عينه ألفا فى الماضى إذا بنى للمجهول.

**وفيه ثلاث لهجات :**

١- إخلاص كسر أوله وسكون عينه ياء فى لهجة قريش ومجاوريهم من بنى كنانة .

٢- إمالة الكسر نحو الضم ، وهى لهجة كثير من قيس وعقيل ومن جاروهم وعامة بنى أسد .

٣- إخلاص الضم ، وهى لهجة هذيل.

وبالنظر فى هذه الأقسام يتبين لنا إخلاص الكسر عند قريش ومن لف لفهم من مجاوريهم يناسب الفتح عندهم .

والقبائل التى تميل الكسرة نحو الضمة هى القبائل التى ثبت لديهم الإمالة، وعقيل التى ذكرت فى هذا القسم أو ضمن هذا الفريق كانت تسكن البحرين، أى أن هذا الفريق هم وسط الجزيرة العربية وشرقيها كما ذكرنا آنفا فى الإمالة.

وأما الفريق الثالث : أو الظاهرة الثالثة التى تنسب إلى لهجة هذيل فليس هذا غريبا عليها فلقد خالفوا غيرهم من الحجازين فى ألف القصور كما هو معروف فى كتب النحو واللغة .

## ثانيا : الفك والإدغام

**الإدغام:** هو اللفظ بحرفين حرفا كالثانى مشددا ، هذا عند القدماء .

وأما المحدثون فيطلقون على هذه الظاهرة كلمة "المماثلة" .

والإدغام ضرب من ضروب التأثير الصوتى الذى يقع فى الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة .

والذى يعنينا فى هذا المبحث أى القبائل تدغم وأيها يظهر ؟

القبائل التى كانت تميل إلى السرعة فى النطق والخفة فى اللفظ هى القبائل التى كانت تميل إلى الإدغام ن والقبائل التى تجنح إلى الإظهار هى التى تميل إلى التأنى والوضوح .

وتكاد تجمع المصادر القديمة التى بين أيدينا على أن الإظهار لهجة الحجازيين أى غربى الجزيرة العربية ، وأن الإدغام لهجة تميم ، وهذه القبيلة أى قبيلة تميم هى التى كانت تتخذ مثلا لقبائل وسط الجزيرة وشرقها فالقبائل

العربية إذا قد انقسمت إلى طائفتين بالنسبة لهذه الظاهرة اللغوية طائفة تؤثر بالإظهار وهى قبائل غربى الجزيرة اى البيئة المتحضرة وهى قريش والأنصار وثقيف وكنانة وهذيل .

ويجدر بنا أن نذكر بعض الأمثلة التى اختلفت فيها اللهجات حتى تكون على بينة من الأمر تجاه هذه لظاهرة اللغوية ، والتى نحن بصدد الحديث عنها فى هذا المبحث.

**أولا:** الفعل المضعف فى حالة الجزم أو سكون اللام فيه لهجات كثيرة:

(أ) الإدغام مع التحريك بالفتح على كل حال وهى لهجة بنى أسد وغيرهم من بنى تميم فيقولون : إن تردّ .

(ب) الإدغام مع الكسر على كل حال وهى لهجة كعب وغنى ونمير .

ولهجة أهل الحجاز فك المثلين فى الفعل المضارع المضعف المجزوم بالسكون وفى فعل الأمر المبنى عليه .

عكس ما سبق .

قال تعالى :"**واغضض من صوتك**".

(جـ) إذا اتصل بالفعل المضعف واو الجمع نحو ردوا أو ياه مخاطبة نحو ردى، أو نون توكيد نحو ردن .

فى هذه الحالة تتفق لهجة الحجازيين والتميمين فى الإدغام فهو واجب لدى الجميع .

(د) إذا ادغم فى الأمر على لهجة تميم وجب طرح همزة الوصل إلا أن الكسائى نسب الإدغام إلى عبد القيس مع همزة الوصل مثل أرد وأغضّ وأفرّ[١] .

(هـ) من المشهور فك الإدغام إذا اتصل بآخر الكلمة ضمير رفع بارز نحو ضللت وحللت ، وذلك لأنه يجب تسكين آخر الفعل لدفع كراهة توالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة وعلى هذا فلا يمكن التسكين إلا بالفك .

ولغة بكر بن وائل إبقاء الإدغام فى هذه الحالة فيقولون ردنا ومدنا أى رددنا ومددنا .

**ثانيا:** الأشهر فى "هلم" أن تلزم حالة واحدة سواء أسندت لمذكر أو لمؤنث، وسواء كان مفردا أو مثنى أو جمعا .

فيقال : هلم يا زيد او يا زيدان او يا زيدان ، وبها جاء التنزيل قال تعالى :"**هلم شهداءكم**" وقال تعالى :"**هلم إلينا**" .

وهى حينئذ مدغمة دائما لثقلها بالتركيب ، ومن ثم التزموا فى آخرها الفتح وزعموا أنها فى الأصل مركبة من هاء التنبيه ولم أى ضم نفسك إلينا .

ولهجة نجد من بنى تميم تغيير هذه الكلمة بحسب ما تسند إليه وحينئذ يدخلها الفك .

---

(١) شرح التصريح على التوضيح جـ٢ ص ٤٠٥

فعلى لهجتهم تقول : هلم يا زيد وهلمى يا هند وهلما يا زيدان وهلموا يا رجال وهلمن يا نساء .

مما سبق عرضه نستطيع أن نقول : إن القبائل التى تقطن غربى الجزيرة العربية وهم الحجاز ينسب إليهم الإظهار لأنهم قبائل تميل إلى التأنى والتؤدة فى الأداء بحيث تظهر كل الأصوات .

كما أن القبائل التى تسكن وسط وشرق الجزيرة العربية ينسب إليها الإدغام لأنها قبائل بدوية تميل إلى التخفيف والسرعة فى الكلام .

على أن هذا لا يمنع لجوء هؤلاء وهؤلاء إلى ظاهرة الإدغام أو الإظهار معا، ولكن هذا فى مواطن قليلة كما رأينا فى هلم مثلا لجوء بنى تميم إلى الفك فى هذه الكلمة كما شاهدنا .

## ثالثا : الإبدال

ينقسم الإبدال إلى :

١- إبدال مطرد عند جميع العرب وهذا إذا استوفى شروطه وجب تنفيذه وهو الخاص بحروف هدأت موطيا .

٢- إبدال غير مطرد ، وهذا لا يكون مطردا لدى العرب جميعا بل يتنوع بتنوع القبائل المختلفة وهذا هو ما يعنينا فى اللهجات يقول أبو الطيب اللغوى فى هذا النوع:

"ليس المراد من الإبدال أن تتعمد العرب تعويض حرف من حرف وإنما هى لغات (أى لهجات) مختلفة لمعان متفقة ، تتقارب اللفظتان لمعنى واحد . . . والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ولا بالصاد مرة ، وبالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميما ، الهمزة المصدرة عينا كقولهم فى نحو "أن" عن، لا تشترك العرب فى شئ من ذلك إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون .

وينقسم هذا النوع إلى :

١- إبدال فى الحركات .

٢- إبدال الحروف.

وإذن تعريف الإبدال عند اللغويين هو : إبدال حرف من حرف أو حركة من حركة .

## أولا: الإبدال فى الحركات

والإبدال فى الحركات نوعان.

١- إبدال حركة من أخرى فى بنية الكلمة وهى الحركات التى تكون على الحرف الأخير . وسنكتفى بالنوع الأول هنا وسنعقد للثانى مبحثا خاصا به .

## إبدال حركة من أخرى فى بنية الكلمة

(أ) بعض القبائل تميل إلى فتح الأصوات الحلقية وتنسب هذه الظاهرة إلى قبيلتى عقيل وبعض بكر بن وائل وهما من قبائل شرق الجزيرة وعلى هذه اللهجة جاء قول الشاعر وهو كثير :

له نعل لا تطبى الكلب ريحها ∴ وإن جعلت وسط المجالس شمت.

وقول الشاعر :

وإن امرأ لا يرتجى الخير عنده ∴ لذو بخل كل على من يصاحب

وعلى هذه اللهجة قراءة "جهرة".

**(ب) كسر الحروف المضارعة .**

من المعروف أن حروف المضارعة تحرك بالفتحة إلا إذا كان الماضى رباعيا فإنه يضم .

ولكن بعض القبائل العربية تكسر حروف المضارعة وهذه الظاهرة تعرف عند القدماء بالتلتلة وتنسب إلى بهراء وهى بطن من تميم فيقال تلتلة بهراء . وتنسب أيضا إلى تميم إذ يعلق ابن جنى على قراءة "فتمسكم النار" بأنها لهجة تميم حيث تكسر أول مضارع ما ثانى ماضيه مكسور نحو تعلم وأنا أعلم وينسب سيبويه هذه الظاهرة إلى جميع العرب ما عدا الحجازيين .

من هنا يتبين لنا أن هذه الظاهرة من الظواهر التى انقسمت فيها اللهجات بين قسميها الرئيسيين وهو اللهجات فى شرق ووسط الجزيرة من ناحية واللهجات فى غربها من ناحية أخرى أى بين قبائل البدو وقبائل الحضر .

## (جـ) تفريعات تميم.

ينطق الحجازيون الكلمات على أوزانها دون مبالاة بثقل أو خفة ولكن التميمين يلمحون نوعا من الثقل ويحاولون إيراد اللفظ على وجه خفيف .

وقد ذكر هذه الظاهرة سيبويه فى كتابه تحت عنوان "باب ما يسكن استخفافا " وهو فى الأصل عندهم متحرك : فيقول :"وذلك قولهم :

فى فخذ فخذ ، وفى كبد كبد ، وفى عضد عضد ، وفى الرجل رجل وفى كرم الرجل كرم ، وفى علم علم .

وهى لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بنى تميم " .

ومما لا شك فيه أن نطق الحجازيين الكلمات على أوزانها دون مبالاة بثقل أو خفة يلائم البيئة الحضرية التى تميل إلى التأنى فى الكلام بحيث تعطى كل صوت حقه.

كما أن التخفيف فى لهجة تميم وهى كما هو معروف قبيلة بدوية يلائم تلك الطبيعة التى تميل إلى السرعة فى النطق والاقتصاد فى الجهود العضلى .

## ثانيا : الإبدال فى الحروف

يدخل تحت هذا النوع عدة ظواهر تشعبت فيها اللهجات العربية القديمة تشعبا كبيرا وتباينت تباينا واضحا وإليك بعض هذه الظواهر :

**١- العنعنة :**

تنسب إلى تميم وأسد وقيس ومن جاورهم أى أن هذه الظاهرة تنسب إلى القبائل البدوية التى تقطن وسط وشرقى الجزيرة :

والعنعنة هى : قلب الهمزة المبدوء بها عينا ، وهو نوع من الجهر بالصوت لأن الهمزة ليست من الأصوات المجهورة أو المهموسة لأن مخرجها من المزمار ولا عمل للوترين الصوتيين معا .

وهذه الظاهرة تناسب وتلائم البيئة البدوية لأن هذه القبائل تميل إلى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة فى السمع لأنهم يتحدثون فى الصحراء حيث يفنى الصوت فى جولا آخر له عكس البيئة الحضرية وإليك أمثلة هذه الظاهرة:

يقول جران العود:

فما أبن حتى قلن يا ليت عننا ∴ تراب وعن الأرض بالناس تخسف

وكقول الشاعر :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ∴ ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وكقول الشاعر

فلا تهلك الدنيا عن الدين واعتمل ∴ لآخرة لابد عن ستصير

٢- الفحفحة :

تنسب إلى هذيل وهو قلب حاء حتى عينا وبلهجتهم قرأ ابن مسعود "عتى حين":

فأرسل إليه سيدنا عمر رضى الله عنه إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش .

وسميت هذه الظاهرة فحفحة هذيل أى تردد صوتها فى حلوقها مشابها للبحة.

ونقل بعضهم عنه هذه الظاهرة أنها قلب الحاء عينا ولم يقيدها بحاء حتى ، وهذا النقل ضعيف :

وهذه الظاهرة غير مناسبة لبيئة هذيل إذ كما تعرف أن بيئتها حضرية وهى بيئة الحجاز وهذه البيئة يناسبها ويلائمها همس الأصوات لا جهرها .

ولكن اللهجات لا تعرف الاطراد الدائم الذى لا يتخلف .

٣- الكشكشة :

وهى إبدال كاف المؤنثة شينا فى لهجة ربيعية ومضر وتميم وأسد فى حال الوقف ومنهم من يبدل هذا الإبدال فى حال الوصل أيضا فيقولون "منش وعليش" اى منك وعليك وقد روى قول الشاعر يخاطب الظبية .

فعينك عيناها وجيدك جيدها ∴ ولكن عظم الساق منك دقيق بإبدال كافات الخطاب شينا هكذا :

فينعش عيناها وجيدش جيدها ∴ ولكن عظم الساق منش دقيق

وحكى عن أعرابية تقول لجارتها :"ارجعى وراءش فإن مولاش يناديش" أى وراءك ومولاك يناديك .

وفى فقه اللغة للثعالبى : وقرأ بعضهم "قد جعل ربش تحتش سريا" فى قوله تعالى :" قد جعل ربك تحتك سريا " .

٤- الكسكسة :

وهى قلب الكاف فى المذكر سينا للفرق كما يذكر السيوطى ولكن بعض العلماء يخصها بالمؤنث كالظاهرة السابقة .

وهى تنسب إلى ربيعة ومضر وتميم وبكر بن وائل .

وفسرها بعضهم بأنها زيادة سين مهملة بعد الكاف .

ونسبها ابن جنى لقبيلة هوازن فيقولون أعطيتكس ومنكس وعنكس وهذا فى الوقف دون الوصل [٢] .

٥- الشنشنة:

تنسب لأهل اليمن وهى قلب الكاف مطلقا شينا سمع أحدهم فى عرفة يقول :"لبيش لبيش"

---

(٢) الخصائص لابن جنى جـ٢ ص١٢.

وليست الشنشنة هذه إلا كشكشة ربيعة ومضر أى مثلها تماما وينبغى نسبتها إلى القبائل البدوية اليمنية كما ينبغى نسبة ظاهرة الكشكشة أيضا إلى تلك القبائل المتوغلة فى البداوة من ربيعة كبكر بن وائل .

٦- الوتم :

ذكر اللغويون ان أهل اليمن تبدل السين المهملة تاء فوقية فيقولون فى الناس الناس .

وعليها قول الشاعر :

يا قاتل الله بنى السعلات ∴ عمرو بن يربوع شرار النات

غير أعفاء ولا أكيات

يريد الناس وأكياس

٧- الطمطمانية :

وهى إبدال لام التعريف ميما فى لهجة حمير .

يقولون :"طاب امهواء وصفا أمجو أى طاب الهواء وصفا الجو .

وقد سبق أن تعرضنا لأصل هذه الظاهرة .

٨- العجعجة :

هى كما يقول السيوطى : جعل الياء المشددة جيما وتنسب إلى قضاعة وإلى فقيم دارم من تميم وعلى هذه اللهجة جاء قول الشاعر :

عمى عويف أبو علج المطعمان اللحم بالعشج

٩- ومن العرب من يعكس الإبدال السابق فى الظاهرة السابقة فيبدل الجيم ياء .

يقول الشاعر :

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى ∴ فأبعدكن الله من شيرات

أى شجيرات .

**١٠- الاستنطاء :**

وهى إبدال العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء مثل حديث الدعاء "ولا مانع لما أنطيت" (إنا انطيناك الكوثر) قراءة.

وتنسب إلى هذيل وسعد بن بكر والأزد وقيس والأنصار .

## رابعا : ما يتعلق بالإعراب

ومن المعروف أن أوجه الإعراب هى الرفع والنصب والخفض والجزم ولكل منها مواضع معينة لا يكون فى غيرها .

ولقد تكفل علم النحو ببيان ذلك غير أن منها ما هو شائع بين جميع العرب ومنها ما هو عند البعض دون الآخر ، وهو المعنى لنا دون النوع الأول وإليك بعض أمثلة هذا النوع :

**١- إعمال ما عمل ليس :**

تتفق الروايات على أن إعمال (ما) عمل ليس هو لهجة الحجازيين وأن إهمالها لهجة التميميين .

وبلغة الحجازيين نزل القرآن الكريم "ما هذا بشرا"

٢- خبر ليس :

الحجازيون ينصبونه مطلقا وبنو تميم يرفعونه إذا اقترن بألا حملا لها إلى ما .

٣- نصب الخبر بعد أن النافية :

ينصب الخبر بعد إن النافية فى لهجة أهل العالية وهى ما فوق نجد إلى تهامة وإلى مكة وما والاها . كقول الشاعر :

إن هو مستوليا على أحد ∴ إلا على أضعف المجانين

وقوله :

إن المرء ميتا بانقضاء حياته ∴ ولكن بأن يبغى عليه فيخذلا

وقراءة سعيد بن جبير . "إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم " بان النافية ونصب عباد وأمثال .

والقراء السبعة "إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم" بإن المؤكدة ورفع عباد ومثال.

٤- جر اسم لعل :

عقيل تجر اسم لعل بها كقول كعب بن سعد الغنوى :

فقلت أدع أخرى وأرفع الصوت جهرة

لعل أبي المغوار منك قريب

وقوله :

لعل الله فضلكم علينا بشئ أن أمكم شريم

**٥- المثنى :**

من المعروف أن المثنى يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء ، ولكن تذكر الروايات أن المثنى لم يلزم تلك الحالة دائما فلقد كان بنو الحارث ابن كعب وكنانة وبنو العنبر وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وخثعم وزبيد ومحمدان وعذره .

ويلزمون المثنى الألف دائما وعليه قول الشاعر :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساغا لناباه الشجاع لصمما

وخرج عليها قوله :"**لا وتران فى ليلة**" .

وعليه قوله:

تزود منا بين أذناه طعنة ∴ دعته إلى هابى التراب عقيم

وقوله :

وقد بلغا فى المجد غايتاها

**٦- استعمال متى استعمال من :**

تستعمل متى استعمال من فى لهجة هذيل فيجرون بها ، نقل عن بعضهم " أخرجهم متى كمه" أى منه .

وقول أبى ذؤيب الهذلى :

شربن بماء البحر ثم ترفعت ∴ متى لجج خضر لهن نئيج

٧- تمييز كم الخبرية منصوب وجوبا فى لهجة تميم فهم يقولون: كم فارسا جندلت وكم حربا خضت .

بينما يقول الحجازيون: كم فارس وكم حرب ، وهذه الظاهرة اللغوية من ظواهر الخلف بين اللهجتين ، وهذه الظاهرة كانت السبب فى الجدل النحوى العقيم حول بيت الفرزدق .

(وهو كما نعرف من قبيلة تميم)

كم عمة لك يا جرير وخالة ∴ فدعاء قد حلبت على عشارى

فمن رواه بالنصب لاحظ أن الفرزدق قد لحن بلحن قومه ومن رواه بالجر أراد أن يؤكد أن جميع الشعراء يلتزمون النطق بلهجة قريش لإيمانهم بأنها أفصح اللهجات العربية .

وبعضهم خرج النصب على أن كم استفهامية والاستفهام للتهكم ولا ضرورة إلى هذا لتخريج ما دام يروى عن تميم .

## خامسا : الاختلاف فى أوجه البناء والبنية

### ١- نعت أى النداء :

المشهور فى يأيها الرجل ، يأيها الناس ، فى بناء الهاء على الفتح، ووصلها بألف تظهر عند الوقف .

وعند بنى أسد يجوز أن تحذف ألفها وأن تضم هاؤها اتباعا وعلة قراءة ابن عامر: أيه المؤمنون . أيه الثقلان . أيه الساحر ، بضم الهاء فى الوصل ، اما إذا تلاها اسم إشارة فتفتح عند الجميع نحو يأيهذا .

والضم فى هذه الظاهرة مناسب لطبيعة قبيلة أسد البدوية إذ الضم مظهر من مظاهر الخشونة مما يناسب أهل البادية كبنى أسد .

**٢- الوكم:**

المشهور فى كاف الخطاب المتلوة بالميم الضم قال تعالى :

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...)

وناس من بكر فى وائل تكسر هذه الكاف .

وعليها جاء قول الخطيئة :

وإن قال مولاهم على جل حادث من الدهر ردوا فضل أحلامكم

ردوا ونسب الكسر أيضا إلى ربيعة كما يذكر ذلك السيوطى وهذه الظاهرة تعرف بالوكم.

**٣- الوهم :**

والمشهورل أيضا عند جمهرة العرب فى هاء الغيبة المتلوة بالميم أن تبنى على الضم ما لم يقع قبلها ياء كسرة فتكسر ولكن ربيعة تكسرها مطلقا .

وتعرف هذه الظاهرة بالوهم . فيقولون فى منهم : منهم .

٤- شين عشرة :

المشهور فى شين عشرة التسكين فى لغة الحجاز قال تعالى : (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) .

ولكن من بنى تميم من يكسرها فيقولون عشرة .

٥- بناء مع السكون :

المشهور فى مع البناء على الفتح قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام (يا بنى اركب معنا) .

ولكن غنم وربيعة تسكن أى تبنيها على السكون .

٦- ضمير الرفع المنفصل للمتكلم (أنا):

فى الوقف يلزم الألف وتحذف وصلا وهذا عند قريش وبنو تميم يلزمون الألف وقفا ووصلا .

وفى الوقف لغة بهاء السكت وهى لهجة طئ يقولون أنه .

٧- ضمير الغائب المفرد المتصل .

يقول الشاعر :

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهو ∴ ومطواى مشتاقان له أرقان

فإثبات الواو فى اخيلهو للحجازيين وتسكين الهاء فى له لهجة أزد السراة وعلى الأولى جاءت قراءة (فخسفنا بهو وبدار هو الأرض) .

٨- كسر ياء المتكلم فى هذه الحالة ولكن بنى يربوع يكسرون وعليها قراءة حمزة (وما أنتم بمصرخى) بالكسر وقرأ الباقون بالفتح كما ذكر ذلك صاحب النشر.

٩- فتح همزة إما التى للتفصيل :

الشائع فيها الكسر (فإما منا بعد وإما فداء) ولكن بنى تميم وأسد وقيس تفتح الهمزة فتكون صورتها فى لهجتهم كصورة أما الشرطية قال شاعرهم :

يا ليتما أمنا شالت نعامتها ∴ أما إلى جنة أما إلى نار

١٠- من ضمائر الرفع المنفصلة هو وهى :

المشهور فى هذين الضميرين فتح الواو والياء . ولكن قيس وأسد تسكن الواو والياء.

كقول الشاعر :

إن سلمى هى التى لو تراءت ∴ حبذا هى من خلة لو تحابى

وقول الآخر :

أدعوته بالله ثم قتلته ∴ لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وهما ان تشدد الواو والياء من هذين الضميرين .

من ذلك قول الشاعر :

والنفس ما أمرت بالعنف آبية ∴ وهى ما أمرت باللطف تأ

وكقول الشاعر :

وإن لسانى شهدة يشتفى بها ∴ وهو على من صبه الله علقم

ولو أضفنا إلى هذين الضميرين على لهجة همدان هاء السكت لكان النطق الدارج عندنا فى مصر مما يوقفنا على صلة اللهجات الحديثة باللهجات العربية القديمة .

## سادسا: بين الإعراب والبناء.

١- من الظواهر اللغوية التى اختلفت فيها تميم والحجازيين الأعلام التى على وزن فعال كحذام وقطام .

فالحجازيون يبنونها على الكسر ويقولون فى امرأة اسمها حذام هذه حذام ورأيت حذام ومررت بحذام بالبناء على الكسر فى الجميع .

وأما بنو تميم فترفع ذلك وتنصبه تجربة مجرى اسم لا ينصرف هذا وإذا كان آخره راء فالحجازيون والتميميون متفقون فى البناء على الكسر .

٢- إعراب الذين إعراب جمع المذكر السالم :

المشهور فى جمع اسم الموصول الذى أن تقول :"الذين" بالياء فى الرفع والجر ، لأنه مبنى كالواحد ومنهم من يقول: الذون فى الرفع والذين فى النصب والخفض وتنسب إلى طئ وعقيل وهذيل .

فهم إذن يعربون الذين إعراب جمع المذكر السالم .

وقال رؤبة :

نحن اللذون صبحوا الصباحا ∴ يوم النخيل غارة ملحاحا

٣- حيثُ :

حيث من الظروف المبينة والذى أوجب بناءها أنها تقع على الجهات الست وهى :

خلف . قدام . يمين . شمال . فوق . تحت، وعلى كل مكان فأبهمت ووقعت عليها جميعا .

ولهجة فقعس كما يذكر السيوطى فى همع الهوامع إعرابها ، وقرئ "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" بالكسر فيحتمل الإعراب ولغة البناء على الكسر .

٤- لدن الظرفية :

من الظروف المبنية "لدن" وهى لأول غاية زمان أو مكان . وعلة بنائها شبهها بالحروف فى لزومها استعمالا واحدا وهى كونها مبتدأ غاية وامتناع الأخبار بها أو عنها .

ولكن قيس تعربها تشبيها لها بعندوبه قرا عاصم "بأسا شديدا من لدنه" بالجر وإشمام الدال الساكنة الضم .

## سابعا : الزيادة والنقصان

من مظاهر اختلاف اللهجات أيضا نطق بعض القبائل العربية الكلمة بحذف حرف فيها ونطق بعض القبائل أحرف الكلمة بحذف حرف من حروفها وإليك بعض الأمثلة التى توضح ذلك:

**١- اللذان واللتان**

اسم الموصول للمثنى المذكر اللذان والمثنى المؤنث اللتان والمشهور فيها إثبات النون .

ولكن لهجة بنى الحرث بن كعب وبعض بنى ربيعة يحذفون النون فى حالة الرفع تقصيرا للموصول لطوله بالصلة لكونها كالشئ الواحد .

وعليها جاء قول الفرزدق فى هجاء جرير :

ابنى كليب أن عمى اللذا ∴ قتلا الملاك وفككا الأغلال

وكقول الأخطل:

هما اللتان لو ولدت تميم ∴ لقيل فخر لهم عميم

**٢- تطابق الفعل وفاعله او نائبه :**

إذا اسند الفعل إلى الفاعل الظاهر فالمشهور تجريده من علامة التثنية والجمع ويكون الفعل حينئذ بصيغة واحدة للفاعل المفرد والفاعل المثنى والجمع، وهى صيغة المفرد الغائب تقول: قال رجل قال رجلان قال الرجال قالت نسوة . ولكن فى لهجة طئ وأزد شنوءة وبالحارث بن كعب تلحق الفعل علامة التثنية والجمع أى تطابق الفعل وفاعله ، وعلى اللهجة جاء قوله :

تولى قتال المارقين بنفسه ∴ وقد أسلماه مبعد وحميم

وقول الفرزدق : بجوارن يعصرن السليط أقاربه

وقول امية بن أبى الصلت:

يلومننى فى شراء النخيل أهلى فكلهم ألوم

ويظهر أن هذه اللهجة هى أسبق مما هو معروف وهو إفراد الفعل إذا تقدم على فاعله الجمع أو المثنى فهى تمثل مرحلة تاريخية للغتنا العربية الفصحى فهى لا شك تلقى الضوء على صيغة الفعل وكيف تطورت فيما بعد .

من هنا تظهر أهمية دراسة الظواهر اللهجية المتفرقة فى كتب النحو واللغة وما لها من قيمة فى تاريخ قواعد العربية وأيضا فى اللهجات العامية فى البلاد العربية فى العصر الحاضر .

**اللخلخانية:**

فى لهجة إعراب الشحر وعمان حذف بعض الحروف اللينة كقولهم (مشا الله) أى ما شاء الله كان ولقد عرفت هذه الظاهرة باللخلخانية .

وهذه الظاهرة تلائم البيئة البادية لهؤلاء الأعراب الذين يميلون إلى السيولة فى الكلام والسرعة فى النطق والاقتصاد فى المجهود العضلى .

**٤- القطعة:**

الأصل فى النطق أن يتفوه الناطق بجميع حروف الكلمة ليكون السامع على بينة من أمر المنطوق ولكن قبيلة طئ كانت تميل إلى قطع اللفظ قبل تمامه فيقول يا أبا الحكا ويريدون يا أبا الحكم .

وهذه الظاهرة كما هو مشاهد تشارك الترخيم فى أنها حذف آخر الكلمة إلا أن الحذف فى الترخيم يرد على آخر الاسم المنادى وهذا وارد على كل كلمة حرفا كانت أو اسما أو فعلا منادى او غير منادى ، والمحذوف فى

الترخيم حذف واحد او حرفان أولهما لين زائد ساكن مكمل أربعة أحرف فصاعدا وهنا فى هذه الظاهرة يكون المحذوف حرفا واحدا أو حرفين بدون الشروط المعروفة فى الترخيم كقول الشاعر :

درس المنا بمتالع فأبان ∴ فتقادمت بالحبس والسوبان

أي المنازل :

هذا فى لهجة طئ أما بنو عامر فيكون الحذف بجملة حروف فيقولون (سل عنك) اى عما بدا لك .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الظاهرة تلائم البيئة البادية التى تميل إلى السهولة في النطق والاقتصاد في الجهول العضلي والحذف يحقق ذلك.

هذا وفى لغتنا العامية فى بعض لهجات مصر ما يشبه لهجة طئ فى حذف بعض الحروف كما هو واضح ومشاهد وخاصة عند العوام .

**٥- حذف نون من الجارة**

خثعم وزبيد من القبائل اليمنية يحذفون نون من إذا جرت ما فيه أل القميرة وهى توافق لهجتنا العامية المنتشرة فى مصر وخاصة عند العوام .

ويقول شاعرهم :

لقد ظفر الزوار أقفية العدا ∴ بما جاوز الآمال ملأ سرو القتل

ويقول الآخر :

ابلغ أبا دختنوس مألكة ∴ غير الذى قد يقال م الكذب

ويقول الآخر :

ألا أبلغ بنو عوف رسولا ∴ فما م الآن فى الطير اعتذار

هذا عن النقصان أما الزيادة فإليك بعض أمثلتها التى توضحها لديك

**١- إلحاق لام البعد لاسم الإشارة**

لا يلحق التميميون لام البعد لاسم الإشارة مطلقا .

ولكن أسد وربيعة وقيس يلحقون اسم الإشارة الذى للمفرد والجمع فى حال القصر ومنه قول الشاعر :

أولا لك قومى لم يكونوا اشابة ∴ وهل يعظ الضليل إلا أولالك

**٢- زيادة الف بين همزة الاستفهام إذا كان الأول مهموزا :**

إذا دخلت همزة الاستفهام على كلمة مهموزة فإن بعض العرب يزيد ألفا بين الهمزتين كراهة التقا همزتين ومن ذلك قول ذى الرمة :

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل ∴ وبين النوى آانت أم أم سالم

ويمكن نسبتها إلى تميم ومن والاهم من القبائل البدوية والتى تميل إلى الهمز كما سبق بيان ذلك .

**٣- إشباع حركتى التاء والقاف عند الخطاب .**

من الضمائر المتصلة التى للرفع التاء والتى للنصب الكاف وإذا كان المخاطب بها مذكرا نطقا مفتوحى الآخر وإذا كان مؤنثا كان مكسورى الآخر .

ولكن ربيعة تشبع الفتحة فى حالة الخطاب فتولد ألفا ، وتشبع الكسرة فتولد ياء فى حالة خطاب المؤنثة .

## ثامنا : هيئة النطق

يختلف اللفظ فى النطق عند القبائل المختلفة فالعبارة الواحدة المركبة من كلمات معينة وإن كانت متحدة مادة تختلف هيئتها تبعا لعادات المتكلمين بها . وهذا عام فى سائر اللغات .

والاختلاف فى هيئة النطق يكون بالشدة والرخاوة والسرعة والبطء والتفخيم والترقيق ، والوصل والقطع ، والإمالة والفتح .

ولسوء الحظ أن نقله اللغة العربية وجماعيها لم ينقلوا لنا الهيئة التى كان عليها نطق العرب ، ولم يضعوا للهيئات المختلفة أى إشارة تدل عليها فى الكتابة رغم اختلاف هيئة نطق الألفاظ باختلاف القبائل .

ومما لا شك فيه أن هذا الخلف فى النطق كان موجودا حيث أن القبائل البدوية بوجه عام قد مالت إلى أصوات التفخيم واشتهر عنهم وتمسكوا به وتعصبوا له .

ومن جهة أخرى فلقد مالت القبائل الحضرية أو المتأثرة بالحضر إلى الأصوات المرققة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الترقيق هو جعل جسم الحرف نحيلا فلا يمتلئ الفم بصداه .

وأما التفخيم فهو جعل جسم الحرف سمينا فيمتلئ الفم بصداه واليك بعض الأمثلة التى توضح لك ذلك .

**١- بين التاء والطاء.**

من المعروف لك ان قبيلة تميم من القبائل البدوية ولذا آثرت حرف الطاء المفخم فعلى لهجتهم أفلطنى الرجل إفلاطا مثل أفلتنى . وحصط برجلك اى حصت .

**٢- بين السين والصاد :**

ينسب أيضا إلى تميم تفضيل الصاد على السين إذ الصاد حرف مفخم والسين حرف مرقق فيقولون الصماح فى الصماح .

**٣- بين القاف والكاف :**

يستفاد أيضا من روايات المعاجم أن البدو كانوا يؤثرون القاف على حين أن أهل الحضر كانوا يؤثرون الكاف وهذا يتناسب مع طبيعة كل إذ أن القاف من حروف الاستعلاء فهى مفخمة والكاف ليست كذلك .

فقريش تقول كشطت وقيس وأسد تقول قشطت .

هذا ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المبحث الظاهرة التى تعزى إلى قبيلة قضاعة وهى المعروفة بغمضة قضاعة ، فلقد نقل العلماء أن بنى قضاعة كانوا إذا تكلموا لا تظهر حروفهم ولا تتميز كلماتهم وعد ذلك من المعايب .

وكذلك يندرج تحت هذا المبحث ما نقل عن أهل مكة من أنهم يخفون إحدى التاءين فى الأخرى وذلك إذا اجتمعتا فى أول الكلمة كقولنا تتخلى مقدرتك ومثل قوله تعالى :"فلا تتناجوا بالغثم والعدوان ومعصية الرسول " فقد

كانوا يخفون إحدى التاءين فى الأخرى فيرتفع بهما اللسان ارتفاعة واحدة فى النطق كأنهما مدغمان والحقيقة أنه لا إدغام لأنه لابد من اعتبارها متحركة إذ جاء ذلك فى بعض تفاعيل الشعر التى تقتضى التحريك وأهل مكة يخالفون أكثر العرب الذين يوردون التاءين على هذا الوضع .

وهذه الظاهرة لا تتفق وطبيعة البيئة الحضرية التى هى بيئة مكة والتى من أهم خصائصها التأنى والتؤدة وإعطاء كل حرف حقه فى النطق بخلاف أهل البادية الذين يميلون إلى السرعة فى النطق كما بينا ذلك سابقا .

ولكن كما قلنا إن اللغة لا تعرف الاطراد الدائم الذى لا يتخلف .

ومما يندرج تحت هذا المبحث أيضا أن التفعيل فى العربية للتكثير والمفاعلة للمشاركة .

ولكن وردت قراءات تجمع بين هذين الوزنين مثل قوله تعالى :" ربنا باعد" فقرأ ابن كثير وأبو عمرو "بعد" بتشديد العين ، وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائى "باعد" بألف وعين خفيفة .

وإذا اتفق الوزنان فى المعنى فالمفاعلة لهجة أهل الحجاز وفعل لهجة تميم .

وكل مناسب للبيئة التى ينسب لها ؛ إذ كما تعرف أن تميم تميل إلى التضعيف عكس الحجازيين .

ولهجة تميم هنا تتناسب مع المعنى فى هذه الآية الكريمة إذ المعنى للتكثير لا للمشاركة فهى إذن أقرب إلى دلالة البنية من لهجة أهل الحجاز وهذا واضح .

## تاسعا: تعدد المعنى للفظ واحد

من مظاهر اختلاف اللهجات أن يجئ اللفظ واحدا لمعانى مختلفة وإذا ما كان اللفظ واحدا وتعدد معناه كان صالحا لأن يصدق على نوعين :

(أ) المشترك اللفظى (ب) المتضاد .

### أولا : المشترك اللفظى

تعريفه : المشترك هو : اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة .

فهو باختصار : ما اتحدت صورته واختلف معناه :

ولولا تنوع الاستعمال لما تنوع معناه . لأن اتحاد صورته مع اتحاد استعماله ما كان ينتج إلا اتحاد معناه ولكن الصورة وحدها تماثلت فى المشترك بينما تغايرت طرائق استعمالها لتغاير البيئات فى الغالب .

**أمثلة المشترك :**

**أولا من الأسماء : إنسان** . لفظ إنسان يطلق على الواحد من بنى آدم وعلى ناظر العين وعلى الأنملة وعلى حد السيف ، وعلى السهم ، وعلى الأرض التى لم تزرع.

**ثانيا من الأفعال . قضى** : يأتى قضى بمعنى أمر كقوله تعالى " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" ويأتى قضى بمعنى صنع كقول تعالى "فاقض ما أنت قاض. . " أى فاصنع ما أنت صانع . ويكون قضى بمعنى حكم ويكون

بمعنى أعلم كقوله تعالى :"وقضينا على بنى إسرائيل فى الكتاب" أى أعلمناهم . ويقال للميت قضى إذا فرغ من الحياة .

وقضاء الحاجة معروف ، ومنه قوله تعالى :"**إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها**" وبمعنى دفع الدين .

**ثالثا من الحروف** : من . تأتى من للابتداء والتبعيض والتقليل .

## آراء العلماء وموقفهم من المشترك

لقد عرض اللغويون لهذا النوع من المباحث اللغوية فأنكره بعضهم وأثبته البعض الآخر وإليك بيان ذلك :

**الرأى الأول: المنكرون للمشترك :**

ذهب فريق من العلماء إلى إنكار وجود المشترك فى اللغة العربية وعلى رأس هذا الفريق ابن درستوية فى كتابه "شرح الفصاحة" .

فإذا ظن الناس من قبيل المشترك مثل لفظ "وجد" الذى لم يفد معانى مختلفة إلا بسبب العوارض التصريفية فيقال وجد الشئ وجدانا إذا عثر عليه ، ووجد عليه موجدة إذا غضب ، ووجد به وجدا إذا تفانى بحبه . لم يسلم ابن درستويه بأن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة وإنما هذه المعانى كلها شئ واحد وهو إصابة الشئ خيرا كان أو شراً .

ونفى وقوع المشترك أيضا ثعلب اللغوى وأبو بكر الأبهرى من الفقهاء .

وحجة هذا الفريق . إن اللغة موضوعة للإبانة ووجود المشترك يعد تعمية وأولوا ألفاظ المشترك على أنها من باب الحقيقة والمجاز بمعنى أن المشترك يدل على معنى واحد على سبيل الحقيقة وأما باقى المعانى فدلالة لفظ المشترك عليها على سبيل المجاز .

ومما لا شك فيه أن وقوع المشترك فى الكلام عجيب لأنه ينافى الغرض الذى من أجله وضعت اللغة وهو غرض الإبانة .

ومما يزيل من هذا العجب كون المشترك ناشئ من اختلاف اللهجات بين القبائل وأحسن ما روى فى الاعتذار عن وقوع المشترك هو قول ابن دروستويه نفسه والذى يعد على رأس المنكرين ولكنه يعترف صراحة بوقوع هذا اللون نادرا أنظر إليه حيث يقول : اللغة موضوعة للإبانة والمشترك تعمية ولكن جاء منه النادر لعلل فيتوهم من لا يعرف العلل أن اللفظ وضع لمعنيين والسماع فى ذلك صحيح عن العرب ، وإنما يجئ ذلك من لغتين أو لحذف واختصار وقع فى الكلام .

**الرأى الثانى : المثبتون للمشترك :**

ذهب هذا الفريق من اللغويين إلى إثبات المشترك وكثرة وروده وضربوا له عددا كبيرا من الأمثلة .

ومن هؤلاء الأصمعى والخليل وسيبويه وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصارى وابن فارس والثعالبى والمبرد وابن الأعرابى وابن الأنبارى وابن دريد وأبو عبيد .

ورفض هذا الفريق من العلماء أداء المشترك إلى التعمية لأن القرائن التى يقيمها المتكلم لإفهام المخاطب مؤداه كفيلة بتعيين المراد والمطلوب صارفة الذهن عما لا يراد . وإذا نظرنا إلى هذين الرأيين نظرة فاحصة لتبين لنا أن هذا الخلاف نتيجة اختلاف نظرة كل فريق إلى الكلمات ومعانيها من زاوية خاصة .

فالفريق الأول والذى أول أمثلة المشترك اللفظى على أنها كلها من الحقيقة والمجاز قد نظر إليها نظرة تاريخية وتتبعها فى عصورها المختلفة .

أما الفريق الثانى فنظرته وصفية واقعية إذ بحث هذا الفريق فى الكلمات ومعانيها فى عصر خاص .

والحق الذى لا مرية فيه أن كلا من الفريقين قد حاد عن الطريق السوى وأسرف فيما ذهب إليه وابتعد عن جادة الحق فى بحثه .

وذلك لأنه لا معنى لإنكار المشترك اللفظى مع ما ورد فى الأساليب العربية الصحيحة من أمثلة وشواهد كثيرة لا يتطرق إليها الشك ؛ إذ أن إنكار المشترك مناف للمسموع عن العرب ، واللغة مبينة على السماع الوارد عن الفصحاء والعرب الخلص . فمن الشطط والتعسف إنكار المشترك إنكارا تاما وتأويل جميع أمثلته تأويلا يخرجها من هذا البحث .

يدلنا على ذلك أنه فى بعض الأمثلة لا توجد بين المعانى التى يطلق عليها اللفظ الواحد أية رابطة واضحة تسوغ هذا التأويل وتجعلها من باب الحقيقة والمجاز فأى رابطة أو علاقة بين الأكمة الصغيرة وبين أخ الأم الموضوع لكل منهما لفظ الخال حتى يجعل أحدهما حقيقة للفظ والآخر مجازا له .

هذا عن الرأى الأول . وأما الرأى الثانى فإن ادعاء هذا الفريق كثرة المشترك على الصورة التى تخيلها غير سديد لأنه من الممكن تأويل بعض هذه الأمثلة على وجه يخرجها من الاشتراك .

وذلك لأن المعانى لا تبقى على حال واحدة بل هى دائمة التغير وإن كان تغيرها بطيئا يمر فى أجيال قبل أن نشعر به أو نتعرف عليه ، وكما يصيب التغير بعض الأصوات دون البعض الآخر كذلك نرى تغير المعانى مقصورا على البعض دون البعض الآخر وذلك لتلك الظروف اللغوية الخاصة التى قد تطرأ على بعض الكلمات فقط وكما قد تحافظ بعض الكلمات على أصواتها ولفظها كذلك قد تحافظ بعض الكلمات على معانيها .

## عوامل وجود المشترك

من أهم أسباب وجود المشترك تعدد الوضع ويمكن تقسيمه قسمين :

**الأول:**

تعدد الوضع فى اللغة العربية أصالة لأن القبائل وإن اتحد معظمهم لغة ، إلا أنه مع ذلك يختص بعضها ببعض الألفاظ ، ولا سيما الشعبان العظيمان

عدنان وقحطان وهذا مثل السدفة للظلمة فى لهجة تميم والضوء فى لهجة قيس ومثل العجل وهو ضد البطئ فى لهجة معظم العرب ، وهو الطين فى لهجة حمير.

ومن هنا يتبين لنا بجلاء ووضوح أن اختلاف المعنيين ينبغى ألا يكون قصدا فى الوضع ولا أصلا ، ولكنه من لغات تداخلت أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشئ فتكثر وتصير بمنزلة الأصل " .

**الوجه الثانى :**

اشتراك يعرض من إدخال العرب فى لغتهم لفظا من غير لغتهم ومن عادتهم تغيير اللفظ المعرب ليصير على وزن قريب من أوزانهم فيصادف لفظا شبيها له فى العربية أصلا ولكن بمعنى آخر مثل الشطر وهو النصف ، والشطر بمعنى الجهة حبشى داخل لغة العرب قال تعالى :"فول وجهك شطر المسجد الحرام" .

ولا يتوقف وجود المشترك على هذا السبب وحده بل هناك أسباب كثيرة تتضافر جميعها فى وجود المشترك منها الاشتراك العارض من المجازات التى تكثر فى كلامهم حتى تساوى الحقيقة او تقاربها مثل البعل السيد ثم صار بمعنى الذكر فسمى به النبت الذى لا يسقى . من أسباب وجوده أيضا ما طرأ على اللغة من المصطلحات الشرعية كالإيمان والإسلام والصلاة ، وكذلك من أسبابه ما يعرض من التخفيف مثل قط ذكر الهر وقط بالإدغام

اصله قسط . وغير ذلك كثير من الأسباب الداعية إلى وجود المشترك غير أن السبب الرئيسى فى وجوده هو اختلاف لهجات القبائل العربية نظرا لاختلاف بيئاتها وتغاير أجوائها وتباين طباعها .

## ثانيا : التضاد

لا يتم الحديث عن المشترك إلا بالتعرض لتلك الكلمات التى رويت متضادة المعانى والتى اصطلح القدماء على تسميتها بالأضداد .

تعريفه : دلالة اللفظ على معنيين متضادين دلالة مستوية عند أهل تلك اللغة كالصارخ للمغيث والمستغيث ، والقشيب للخلق والجديد والأضداد نوع من المشترك .

وكما اختلف العلماء فى وجود المشترك اختلفوا أيضا فى الأضداد ففريق يقول بالأضداد وفريق آخر ينكرها .

على أن القائلين بوقوع التضاد فى اللغة العربية اختلفوا فى طريقة إثباته وفيما يلى بيان ذلك على وجه الإجمالى :

## المثبتون للأضداد

أولا: القول بوجود الأضداد مطلقا سواء كان الواضع واحدا أم متعددا على أن يكون الضد مشتقا من أصل الوضع ولذلك يكون الأصل موضوعا لمعنى واحد ثم تداخل الضد على جهة الاتساع ويعللون ذلك بإمكان رجوع

الضدية إلى أصل واحد فى الاشتقاق فى بعض الأحايين مثل الصريم على الليل والنهار لأن كل واحد منهما ينصرم من الآخر أى ينقطع من الآخر ، وهذه نظرة فلسفية بعيدة عن الواقع .

ثانيا: يرى ابن فارس أن أصل الأضداد كأصل الألفاظ الأخرى وضعها العرب بالوضع الأول للدلالة على المعنيين المتضادين إذ يذكر فى كتابه الصاحبى أن من سنن العرب فى الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو الجون للأسود والجون للأبيض.

ثالثا: يرى ابن دريد أن التضاد موجود ولكن بشرط أن يكون اللفظ الذى أطلق على الضدين من وضع قبيلة واحدة وهذا الرأى ينافى الحقيقة لأن الواضع الواحد يهمه إيضاح المعنى لسامعه ووضع اللفظ للمعنى وضده يؤدى إلى الإبهام ولذا كان هذا الرأى غير مقبول لما فيه من خلل .

رابعا: والفريق الرابع يرى أن ألفاظ الأضداد لم يضعها العرب للمعانى المتضادة بالوضع الأول وإنما استعملتها بعض القبائل فى معنى من معانيها واستعملتها بعض القبائل فى المعنى المضاد له ثم امتزجت اللهجات فظهرت الأضداد فى اللغة .

مما سبق يتبين لنا رأى القائلين بالأضداد ورغم ما بينهم من خلاف فى طريقة إثباته إلا أن الجميع فريق واحد وهو المثبت لهذا النوع .

## المنكرون للأضداد

يرى بعض العلماء أنه لا وجود للأضداد وفى مقدمة هؤلاء ابن درستوية فقد ذهب إلى جحد الأضداد وكتب فى ذلك تأليفا خاصا أسماه "إبطال الأضداد".

وإنا لنأسف لضياع هذا الكتاب مما ترتب على هذا عدم معرفتنا للمنهج والطريق الذى سلكه هذا العالم اللغوى فى رد الأضداد وتفنيدها .

ويروى ابن سيدة الأندلسى أن أحد شيوخة كان كذلك ينكر الأضداد التى حكاها أهل اللغة وأن تكون لفظة واحدة للشئ وضده .

## بين المثبتين والمنكرين

والحق أن كلا من الجانبين المثبت والمنكر قد أسرفا فيما ذهب إليه من المبالغة فى إثبات الأضداد أو إنكارها إنكارا تاما .

فأما الذين أبطلوا الأضداد فقد غلوا فيما ذهبوا إليه لوجود الأمثلة والشواهد التى لا يمكن ردها تشهد على وجود التضاد فى الكتب اللغوية التى بين أيدينا فمن التعسف إذا إنكارا التضاد ومحاولة تأويل أمثلته جميعا بتأويلات تخرجها عن هذا الباب كما فعل المنكرون لأن بعض أمثلته لا تحتمل أى تأويل من هذا القبيل .

وأما الذين أثبتوا الأضداد فلقد بالغوا فى عددها أيضا وقد انحرفوا بذلك عن جادة الحق والصواب وذلك لأن هناك ألفاظا قد عدت من الأضداد

بعد أن زيد فى معناها زيادة لم تكن فى أصل الوضع إن كان اللفظ مشتقا ولاستعماله المألوف المأخوذ به إن كان غير مشتق أو لغير ذلك من الأسباب .

وفى الحق أن التضاد موجود فى اللغة ولكن ليس بالكثرة التى نادى بها أصحاب هذا الرأى ووجود التضاد راجع إلى تعدد اللهجات العربية فى الجزيرة العربية ويؤيد ذلك الشواهد الكثيرة المثبتة لذلك .

## الترادف

تعريفه: هو الألفاظ المفردة الدالة على شئ واحد باعتبار واحد واحترز بالأفراد عن الاسم والحد فليسا مترادفين وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالاسم والصفة فإنهما دلا على شئ واحد ولكن باعتبارين أحدهما على الذات والآخر على الصفة ، والفرق بينه وبين التوكيد أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر كالإنسان والبشر وفى التوكيد يفيد الثانى تقوية الأول ، والفرق بينه وبين التابع أن التابع وحده لا يفيد شيئا كقولنا عطشان نطشان .

وهذا التعريف للإمام الرازى وهو من المعتدلين الذين قالوا بالترادف ونلمس من تعريفه هذا أنه يرى وجوب تقييد الترادف بعدم التباين فى المعنى وبعدم الاتباع فليس من الترادف السيف والصارم كما سبق ... الخ ولكنه مع ذلك اعترف بفكرة الترادف ونعنى على الاشتقاقيين تعسفاتهم . وعلى أية حال فإن ظاهرة الترادف فى لغتنا ليست محل وفاق بين العلماء بل على العكس فلقد كان القرن الرابع الهجرى شاهدا لخلافات كبيرة بين العلماء فى

هذا الشأن فمنهم من ينادون بالترادف ويقولون بوقوعه فى الألفاظ ، وذهب فريق من هؤلاء إلى المغالاة فى رأيهم إلى حد أن أتوا بمئات الكلمات للمعنى الواحد فى بعض الأوقات .

وذهب فريق آخر إلى إنكار هذه الظاهرة فى ألفاظ اللغة وذهبوا يلتمسون فروقا دقيقة بين معانى الكلمات والتى لا تسلم فى بعض الأحيان من التكلف .

وبالنظر إلى ما أورده السيوطى فى كتابه المزهر يظهر لنا أن رواة اللغة وجامعيها كانوا فى القرن الثانى الهجرى يقولون بظاهرة الترادف فى ألفاظ اللغة العربية .

ويرون ذلك ليس محل نزاع أو جدال ، فلقد روى أن أبا زيد سأل أعرابيا وقال له ما المحبنطئ ؟قال الأعرابى: هو المتكأكئ ، فقال أبو زيد: وما المتكأكئ قال الأعرابى : هو المتآزف ، قال أبو زيد : وما المتآزف ؟ فسئم من ذلك الأعرابى وقال له : أنت أحمق [1] .

فهذا عالم جليل هو أبو زيد الأنصارى يرى أنه لا غضاضة فى أن يعبر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ واحد فهو إذن من القائلين بالترادف .

وفى أواخر القرن الثالث الهجرى بدءوا يلتمسون فروقا بين الكلمات التى قال عنها من سبقوهم إنها مترادفة .

---

(١) المزهر للسيوطى ٤١٣/١

ثم جاء القرن الرابع الهجرى فاشتد الخلاف بين المؤيدين والمنكرين وانتصر ابن فارس لرأى أستاذه وشيخه ثعلب وأنكر الترادف ، وكذلك أنكره أبو على الفارسى ونرى فى الجانب الآخر المؤيدين والقائلين بهذه الظاهرة أمثال ابن خالوية ومؤيديه ولقد ألف الفيروزبادى كتيبا فى أسماء العسل وجمع له حوالى ثمانين اسما ذكرها السيوطى فى مزهره نقلا عن هذا الكتيب كما ذكر السيوطى أن الفيروزبادى ألف كتابا اسماه الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف .

ولقد جمع الأستاذ دوهامر أكثر من ٥٦٤٤ لفظا للجمل وما يتعلق به ، وليس من الغريب أن نجد باحثا كربنان فى دراسة اللغات السامية تأخذه الدهشة وهو ينقل عن الأستاذ دوهامر ما توصل إليه من هذه الكلمات التى تفوق كل تصور .

## أدلة القائلين بالترادف

يرى أصحاب الترادف والقائلون به قصصا وأحاديث تبرهن وتدلل على رأيهم نذكر منها ما يأتى :

ذكر المفسرون فى قوله تعالى "ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين" ان الفاتح فى لغة اليمن القاضى [١] .

---

(١) مميزات لغات العرب لحفنى ناصف ٤٦.

ويروى أن أبا هريرة لقى النبى ﷺ وقد وقعت من يده السكين فقال له : ناولنى السكين فالتفت أبو هريرة يمنه ويسره ولم يفهم المراد بهذا اللفظ ؛ فكرر له القول ثانية وثالثة وهو يفعل ذلك ثم قال أبو هريرة : آلمدية تريد ؟ فقال له النبى ﷺ : نعم ، فقال أبو هريرة : أو تسمى سكينا عندكم ثم قال : والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ [١] .

وكان من بين ما ساقه أنصار القائلين بالترادف قصة أخرى وهى : أن رجلا من بنى كلاب أو من سائر بنى عامر بن صعصعة خرج إلى ذى جدث من ملوك اليمن فأطلع على سطح والملك عليه فلما رآه الملك اختبره فقال له "ثب" يريد أقعد فقال الرجل ليعلم الملك أنى سامع مطيع ثم وثب من السطح فدقت عنقه فقال الملك : ما شأنه ؟ فقالوا له : أبيت اللعن أن الوثب فى كلام نزار الطمر ، فقال الملك : ليست عربيتنا كعربيتهم ثم قال : من دخل ظفار حمر [٢] .

وكان أيضا فيما ساقوه من الأدلة الكتب والرسائل التى أرسلها النبى ﷺ إلى القبائل والملوك ، فلقد كانت تحمل بعض الكلمات التى ليست مألوفة بينهم ، وموطن الاستدلال أن هذه الكتب التى تحوى كلمات غريبة عليهم كان لتلك الكلمات ألفاظ مترادفة ومعروفة لديهم .

---

(١) نفسه ٤٥.

(٢) المزهر للسيوطى ١/٤١٣

فمن ذلك الكتب كتابه لوائل بن حجر أحد ملوك حمير إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب.. الخ. فالأقيال مترادفة مع الوزراء والأرواع السادات، والمشابيب الأذكياء.

فهذه الأدلة كلها متآزرة تدلنا على وجود الترادف فى اللغة العربية هذا إذا نظرنا إلى الجزيرة العربية على أنها بيئة واحدة وتمثل فيما بينها لغة مشتركة واحدة وأن هذه الألفاظ المترادفة إنما أتت إلى اللغة المشتركة من لهجات متعددة.

والقائلون بالترادف لا شك أنهم كانوا ينظرون تلك النظرة.

## رأى المحدثين فى الترادف :

يرى المحدثون أنه لكى نقول بوجود الترادف ونعترف به بين الألفاظ لابد وأن تكون الكلمات التى توجد فيها هذه الظاهرة اللغوية لابد أن تكون فى عصر واحد وفى زمن واحد ولذا نرى أن بعض الكلمات المترادفة وإن كانت ترجع فى الغالب إلى أزمان متفاوتة وقت نشأتها إلا أنها أصبحت تدل على شئ واحد فمثلا حين استعملت الألفاظ التى تدل على السيف مثلا كالصارم والبتار والهندى واليمانى...الخ لم يكن الشاعر أى شاعر من شعراء العصر الإسلامى أو الأموى يقصد مثلا من كلمة الهندى أى معنى آخر سوى السيف وكذلك اليمانى ...الخ.

كذلك يرى المحدثون انه لابد من الاتحاد فى البيئة اللغوية بحيث تكون الكلمات المترادفة من لهجة واحدة او مجموعة من اللهجات متحدة مع بعضها بحيث يكون المتكلم حرا فى الاختيار بين الألفاظ المترادفة فيختار لفظة حينا ويختار لفظه أخرى حينا آخر دون حرج فى هذا الاختيار .

وإذا طبقنا هذا الشرط على من قال بالترادف نرى أنهم اعتبروا أن اللهجات العربية وحدة متماسكة وعدوا الجزيرة العربية بيئة واحدة ولا ضير فى هذه النظرة فلقد كانت البيئة واحدة ولا أدل على ذلك من الأسواق التى كانت تعقد فى الجاهلية مثل عكاظ وفى صدر الإسلام مثل ذى المجاز وما إلى ذلك.

الشرط الثالث : لدى المحدثين أن تكون الكلمتان أو الكلمات المترادفة متفقة اتفاق تاما فى المعنى فى ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة ويكتفى المحدثون بالفهم العادى لمتوسطى الأفراد حين ينظرون إلى تلك المكلمات .

الشرط الرابع ألا يكون أحد اللفظين المترادفين قد وجد نتيجة تطور الألفاظ وما حدث لها .

ولكن ألا يعقل بعد أن تنوسى الأصل لقديم أن يكون بين اللفظين ترادف بشرط ألا يكون معروفا ذلك لدى الأفراد أن هذا اللفظ متطور عن لفظ آخر.

## تطبيق شروط المحدثين على اللغة العربية

إذا نظرنا إلى اللغة العربية فى ضوء الشروط التى وضعها المحدثون لوجود الترادف نرى أنه لا يمكن الجزم بوجود المترادف بين اللهجات العربية القديمة ، لأنه لا توجد لدينا معاجم لتلك اللهجات بحيث تبين لنا ألفاظ هذه اللهجة أو تلك .

أما إذا طبقنا هذه الشروط على اللغة الأدبية النموذجية والتى نزل بها القرآن الكريم فنرى أنه يوجد الترادف فى هذه اللغة والظن الذى يغلب أن القائلين بالترادف كانوا يعنون ذلك ولا أدل على هذا ورود ألفاظ مترادفة فى كتاب هذه الأمة ودستورها ، وهو كتاب الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا داعى للمغالاة التى يلجأ إليها بعض المفسرين حينما يلتمسون فى كل لفظ شيئا لا يجدونه فى نظرائه من الألفاظ الأخرى .

تأمل الآيات الآتية والتى لا شك تدل على وجود الترادف فى القرآن الكريم.

(١) تالله لقد آثرك الله علينا * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض

(٢) حتى إذا حضر أحدهم الموت * حتى إذا جاء أحدكم الموت

(٣) وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * فارسلنا فيهم رسولا

(٤) البلد القرية

(٥) ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين * فإن الجحيم هى المأوى

(٦) فلا تأس على القوم الكافرين * ولا تحزن عليهم

(٧) وأقسموا بالله جهد ايمانهم * ثم جاءوا يحلفون .

وهذا قليل من كثير وغيض من فيض من كتاب الله والذى يحوى الكثير من هذا القبيل .

وعلى هذا نقول بوجود الترادف فى القرآن الكريم لأنه نزل بلغة قريش وهى اللغة الادبية النموذجية المثالية ، ويجرى على أساليبها وطرق تعبيرها ، ولقد أتيح لهذه اللغة لطول احتكاكها باللهجات العربية الأخرى اقتباس مفردات لديها نظائرها أحيانا أخرى لا تملك ذلك حتى أصبحت هذه المفردات جزءا لا يتجزأ من محصولها اللغوى .

فلا غضاضة حينئذ أن يستعمل القرآن الكريم الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشية الأصيلة والخاصة بها قديما ، فقريش كانت تستعمل أحد اللفظين واكتسب اللفظ الآخر من كثرة احتكاكها فى موسم الحج أو خلافه بلهجة أخرى لها بيئتها اللغوية الخاصة بها والمستقلة فى نفس الوقت .

ولهذا نرى أنه لا مناص من التسليم بوجود الترادف ولا مفر من الاعتراف بالفروق بين المترادفات ولكن هذه الفروق على ما يبدو لنا قد تنوسيت فيما بعد وأصبح من حق اللغة ضمها إليها وإضافتها إلى ثروتها اللفظية .

## القلـــب

وظاهرة القلب هذه ما هى إلا ضرب من الترادف ، ولكن لما كانت لها شئ من الميزة عليه باتحاد الكلمتين فى الحروف كان من الأخرى أن يطلق على هذه الظاهرة اسم القلب .

وإذا نظرنا إلى الاستعمال اللغوى لهذه الكلمة لوجدناه متعدد النواحى ، فإنه يرجع إلى تقدم حرف من حروف الكلمة على غيره بالنظر لورود الكلمة على ترتيب آخر فى هذه الحروف والمعنى واحد فى الكلمتين كما فى يئس وأيس وجذب وجبذ .

كذلك قد يرجع إلى تقديم بعد حروف المادة ، وتأخير الآخر على حين أن المعنى للكلمتين أو الكلمات ليس متفقا وإن كانت المعانى ترجع إلى معنى عام واحد وهو ما يسمى بدوران المادة حول معنى واحد عند بعض علماء اللغة كما فى قولهم جلا عن المكان إذا ارتحل عنه وجال فلان إذا دار فكل من المعنيين فيه معنى الحركة فهما إذا يرجعان إلى معنى عام واحد يجمعها وهو الحركة .

وكذلك نجده قد يرجع إلى تقديم بعض الجملة على بعض كما فى قولهم عرضت الناقة على الحوض والأصل عرضت الحوض على الناقة وكما فى قولهم أدخلت الخاتم فى أصبعى والأصل إدخال الأصبع فى الخاتم[1] .

---

(١) المزهر للسيوطى ١/٤١٣

وقد يرجع أحيانا إلى تغيير حرف علة بحرف آخر من حروف العلة كما فى قال فلقد قلبت الواو بعد أن تحركت وفتح ما قبلها ألفا .

والذى يعنينا من هذه الأنواع كلها هنا ما كان مظهرا من مظاهر اختلاف اللهجات وهو الأول وهو تقديم بعض الحروف الكلمة على بعض مع الاتحاد التام فى المعنى وهذا النوع هو بعض ما يطلق عليه علماء اللغة مصطلح "القلب المكانى" .

وهو كثير فى اللغة ويوجد فى الأسماء والأفعال على السواء وإليك بعض الأمثلة التى توضح هذا لديك .

١- الثلاثى المجرد: لبك الشئ وبكلمة إذا خلطة ، وعاث فى الأرض وعثى.

٢- مزيد الثلاثى : أحجمت عن الأمر وأجمحت .

٣- الرباعى : كبكب الشئ وبكبكه إذا طرحه ، وطرشم الليل وطرمش إذا أظلم .

٤- مزيد الرباعى : أضمحل وامضحل

## آراء العلماء فى القلب

لم تتفق كلمة العلماء فى ظاهرة القلب بل اختلفوا فقال بعضهم إن هذه الظاهرة من باب القلب المكانى وليست نتيجة اختلاف اللهجات بمعنى أن الأصل والمقلوب حدث عند قبيلة واحدة أو عند العرب جميعا أى أن القبيلة

الواحدة أو العرب جميعا تكلم بالأصل والمقلوب معا وليست إحدى الصورتين لقبيلة والصورة الأخرى لقبيلة ثانية .

ولكن إلى من ينسب هذا الرأى

يعزى هذا الرأى إلى علماء اللغة ونحاة الكوفة ، فقد ذكر ابن دريد أن علماء اللغة بصدد هذا النوع من الكلام مجمعون على أنه قلب وليس بلغات (لهجات) .

وكذلك يذكر النحاس فى شرحه على المعلقات بصدد الكلام على هذا النوع :" وأهل اللغة يقولون : إن ذلك كله مقلوب" بعد أن ذكر أن بعض النحويين يرى أن بعضه من قبيل اختلاف اللهجات .

وأما نحاة البصرة فيفصلون فالذى يكون من باب القلب عندهم ما تعسر فيه جعل اللفظين أصلين وأما إذا كان اللفظان أصليين فهما من باب اختلاف اللهجات بمعنى أن أحد اللفظين لقبيلة والثانى لقبيلة ثانية .

وبنوا الأصالة والفرعية على أحد أمرين :

الأول: أن يكون اللفظ قاصرا عن تصرف أخيه كما فى آن وأبى فإنهم يقولون: إن آن مقلوب أنى لأنه قد وجد مصدر أنى ولم يوجد مصدر آن وكقولهم فلان شاكى السلاح وشائكة فإنهم يقولون : إن شاكى مقلوب عن شائك إذ أصله شاوك لأنه من الشوكة أصل الاشتقاق ويقولون بأن الواو مقدمة على الكاف .

وكذلك قولهم امضحل واضمحل فإن الأصل اضمحل لأن المصدر الذى سمع الاضمحلال وامضحل مقلوب عنه.

الأمر الثانى: أن يكون أحد اللفظين أوسع وأكثر استعمالا من أخيه مثل آرام وأرآم فإن أرآم أوسع وأكثر استعمالا من آرام لذا كانت آرام مقلوبة عن أرآم.

وأما إذا تساوى اللفظان فى الاستعمال وفى التصريف فهما من لهجتين مختلفتين.

مما سبق يظهر لنا أن كلمات هذه الظاهرة اللغوية المعروفة بالقلب تنقسم إلى قسمين:

١- الأول ما لم تتساوى فيه الكلمتان تصرفا واستعمالا، والآخر ما تساوتا فيه تصرفا واستعمالا.

فالأول لا خلاف فيه بين العلماء فهو من باب القلب بمعنى أن أحد اللفظين أصل والآخر مقلوب عنه وهو منطوق قبيلة واحدة أو العرب جميعا ولا دخل للهجات فيه.

وأما القسم الثانى فعلماء اللغة ونحاة الكوفة يرون أيضا مثل القسم الأول وأما نحاة البصرة فيقولون: إنه من اختلاف اللهجات بمعنى أن أحد اللفظين لقبيلة من القبائل والثانى لقبيلة أخرى.

وإذا أنعمنا النظر فى رأى اللغويين ونحاة الكوفة وكذلك نحاة البصرة فى القسم الأول نجد أن ما ذكروا من أنه مقلوب إنما يعتمدون فيه على أنه من مقول قبيلة واحدة وقد استمرت عليه أو من مقول العرب جميعا وليس من باب اختلاف اللهجات .

غير أننا نجد أن كثيرا من الألفاظ هذه والتى يزعمون أنها من باب القلب وليست من اختلاف اللهجات يقول صاحب اللسان "والمكرهف لغة فى المكفهر أو مقلوب عنه" وهذه الكلمة سبق لهم أن قالوا فيها إنها مقلوبة عن المكفهر لقصور تصرفها فهذا رجوع منهم فى هذه الكلمة .

وأيضا قيل إن امضحل مقلوب اضمحل وعللوا ذلك بعدم وجود تصاريف اضمحل ، ومعنى ذلك ان هاتين الكلمتين لقبيلة واحدة وليستا من باب اختلاف اللهجات .

وليس الأمر كذلك فامضحل لهجة بنى كلاب واضمحل لغة جمهور العرب قال ابن منظور: وفى لغة الكلابيين امضحل بتقديم الميم وقد حكى أبو زيد هذه اللغة [1] .

وأما الرد على البصريين فنقول بأنه لا يلزم إذا كانت إحدى الكلمتين أكثر تصرفا وأوسع استعمالا أن تكون أصلا لأختها لاحتمال أن تكون تصاريف الكلمة موجودة فى شبه الجزيرة العربية ولم تصل إليها أيدى الرواة أو كانت

---

(١) لسان العرب مادة "ضمل".

تتصرف الكلمة فى بادئ الأمر تصرفا كاملا فلما احتكت القبائل بعضها ببعض واخذ كل عن كل صارت لهجاتهم كوحدة واحدة يتعاورها كل منهم استعملت إحدى القبيلتين تصرفات كلمة القبيلة الأخرى بدل تصرفات الكلمة التى فى لغتها فماتت بذلك التصرفات التى كانت لها والاستغناء من عادة العرب فلقد قالوا : إن حسب بكسر السين فى الماضى والمضارع فى لهجة قريش لم تكن كذلك فى لهجتهم أولا بل كانت بكسر السين فى الماضى وفتحها فى المضارع فأخذوا يحسب بكسر السين من لهجة قوم يفتحون السين فى الماضى ويكسرونها فى المضارع وتركوا مضارع لهجتهم .

من هنا يتبين لنا من عرضنا السابق أن علماء اللغة ونحاة الكوفة قد حادوا عن جادة الصواب فى هذه الظاهرة وكذلك نحاة البصرة فى بعض ما قالوا . والحق أن ظاهرة القلب هذه من اختلاف اللهجات العربية .

## لهجة بنى أسد

تمهيد: أسد هو اسم يطلق على عدد من القبائل العربية وهى :-

١- أسد بن عبد العزى بن قصى من قريش .

٢- وأسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر

٣- وأسد بن ربيعة بن نزار .

٤- وأسد بن دودان .

٥- وفى الأزد بطن يقال لهم بنو أسد وهم أسد شريك بضم السين المعجمة ابن مالك بن عمرو بن مالك بن نهم لهم خطة بالبصرة يقال لها : خطة بنى أسد ، وليست بالبصرة خطة لبنى أسد بن خزيمة .

والذى يعنينا من هؤلاء جميعا القبيلة الثانية وهى قبيلة أسد بن خزيمة وهى قبيلة عظيمة من العدنانية وهى ذات بطون كثير منها بنو غنم بن دودان بن أسد وبنو الصيداء بن عمرو بن قعين ، وبنو فقعس بن طريق بن عمر بن قعيس ، وبنود بير بن مالك بن عمر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة و(دبير) بطن كبير من بنى أسد وهو لقب كعب بن عمرو ابن قعين ، وفقعس ودبير من فصحاء بنى أسد وبنو مالك بن ثعلبة بن داودان ابن أسد ابن خزيمة .

وبنو أسد يقال لهم القيون أى (الحدادون) لأنهم أول من عمل الحديد بالبادية لأن منهم الهالك بن أسد بن خزيمة وهو أول حداد فى البادية .

## منازل بنى أسد

كان موطنهم فيما يلى الكوخ (وهو سوق ببغداد) من أرض نجد وهى تجاور منازل طئ لان طئ حينما خرجوا من اليمن غلبوا بنى أسد على أجأ وسلمى ثم تجاورا بعد أن اصطلحوا ثم تفرقوا فى بلاد نجد وذلك بعد الإسلام ونعنى بها قبيلة طئ .

وتعد قبيلة أسد بن خزيمة من القبائل الحربية التى سجل لها التاريخ كثير من الحروب والغزوات قبل الإسلام ، وبعده، فقد حاربوا فى الجاهلية طئ ، وعامر بن صعصعة ، وجسّم بن معاوية ، وعبس وذبيان ، وفى الإسلام قاتلوا مع سعد بن وقاص فى العراق فى موقعة القادسية أمام الفرس فى السنة الرابعة عشرة للهجرة النبوية ، ولبنى أسد مواقع لها قيمتها مع الأتراك ، وبعد انقراض نفوذهم أقاموا على شاطئ نهر الفرات ، ويعرف عنهم إلى جانب الشجاعة والإقدام الكرم والجود .

وقبيلة أسد من القبائل الست التى نقلت عنهم اللغة كما عرفت سابقا من النص الذى نقل عن السيوطى والذى نقله عن أبى نصر الفارابى فى كتابه المسمى بالألفاظ والحروف حيث يقول : "والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم: قيس – تميم – أسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذوا ومعظمه وعليهم اتكل فى الغريب وفى الإعراب ، والتصريف : هذيل وبعض بنى كنانة ، وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر القبائل" .

وسوف نتناول بإيجاز خصائص لهجة بنى أسد حتى تكون على بينة من أمر هذه اللهجة .

## الخصائص الصوتية

أولا – الأصوات الساكنة :

قلب الهمزة عينا : وهى المعروفة بالعنعنة وقد مرت بك أثناء معالجتنا لها فارجع إليها إن شئت يقول الفراء : تميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أن إذا كانت مفتوحة عينا يقولون : أشهد عنك وشواهدها مرت بك .

**قلب الثاء راء** : يقولون : كرثأ شعر الرجل بمعنى كثر والتف وأصلها كثأ على وزن فعل . وهذه الظاهرة طريق لتكون الرباعى فى العربية قالوا ن عند بنى أسد فعلل .

**قلب الجيم خاء** : الأصلج معناه الأصم عند بنى أسد يقولون الأصلخ بالخاء بدل الجيم .

قلب الخاء كافا: الملتخ اليابس من السكر عندهم الملتك بإبدال الخاء كافا .

**قلب الدال تاء**: يقولون فى الدفتر : التفتر .

**قلب الدال ذالا** : يقولون فى مدكر مذكر .

**قلب السين زايا**: فى لهجة هذه القبيلة يقلبون السين زايا خالصة .

**قلب الفاء ثاء** : يقلبون الفاء ثاء .

**قلب الكاف شينا** : وهى إبدال كاف المؤنثة شينًا وهى الكشكشة وقد مرت بك .

قلب الكاف قافا : يقولون فى كشط قشط .

ويقلبون كذلك اللام نونا والميم باء والميم نونا .

وبنى دبير من قبيلة أسد يقلبون الباء الخفيفة جيما وتسمى هذه الظاهرة العجعجة كما عرفت سابقا ويقلب بنو أسد الياء واوا فيقولون : فى عزيته إلى أبيه عزوته إلى أبيه .

مما سبق يظهر لنا أن هذه القبيلة لا تسير على وتيرة واحدة فى لهجتها فى بعض الصفات اللهجة فهى تتردد بين الأصوات المجهورة التى تناسب البيئة البدوية والمهموسة التى تناسب البيئة الحضرية وسبب هذا التردد أن بيئة هذه القبيلة متسعة ومن هنا كان الناطقون من هذه القبيلة الذين يجاورون الحضر يلهجون بما يوائم الحضر والذين يتوغلون فى البادية يلهجون بما يوائم البادية من الصفات اللهجية ومن هنا يظهر لنا ترددهم بين الشدة والرخاوة فالذين يغلب عليهم البادية يناسبهم ما لهجوا به من الأصوات الشديدة والذين نسب إليهم من الرخاوة يناسب ما هم فيه أيضا .

ولا يغيب عن القارئ ما نسب إليهم من قلب الياء واوا فى عزيته إلى عزرته فهذا يناسب البيئة الحضرية لأن الواو فيها خشونة عن الياء التى فيها رقة لأنها امتداد للكسرة .

ومن هنا يظهر لنا جليا من النصوص فى ظاهرة تحقيق الهمزة وتسهيلها أن قبيلة بنى أسد تحقق الهمزة شأنها فى ذلك شأن البيئة البدوية تميم ومن والاها .

وقد أخذتها اللغة الفصحى من هذه القبيلة ومن غيرها من القبائل البدوية .

ثانيا : الأصوات الصائتة:

## بين الفتح والكسر

١- كسر أحرف المضارعة ويعرف بالتلتلة بين الفتح والكسر وتشترك هذه القبيلة مع غيرها من القبائل البدوية الأخرى وخاصة بهراء من تميم .

٢- كسر الواو فى الوتر

٣- مضارع يسر ييسر وعند بنى أسد يكسرون ياء المضارع فيقولون ييسر.

٤- هيهات اسم فعل ماض قال تعالى :" **هيهات هيهات لما توعدون**" قرأ الجمهور بفتح التاء فى الكلمتين وهى لغة الحجاز وقرأ أبو جعفر وشيبة بكسر التاء فيها من غير تنوين وهى لغة تميم وأسد .

٥- الأربعاء بكسر الباء وفتحها قال الجوهرى وحكى عن بعض بنى أسد فتح الباء فى هذه الكلمة .

ويكفينا هذه الأمثلة فى الفتح والكسر ومن هذه الأمثلة يظهر لنا أن قبيلة بنى أسد يناسبها الكسر والفتح يناسب البيئات الحضرية وفى المثال الخامس لجأت بنى أسد إلى الفتح مما يدل على أن اللهجات لا تعرف الأطراد الدائم الذى لا يتخلف.

## بين الكسر والضم

القتاء: زعم أبو على أبو على أن بعض بنى أسد يقولون : قتا بضم أوله قر الجمهورية (مرية) بكسر الميم وهى لغة أهل الحجاز وقرأ السلمى وأبو رجاء وأبو الخطاب والحسن بضم الميم وهى لغة أسد وبنى تميم .

والضم لما فيه من الخشونة يناسب البيئة البدوية وهى بيئة بنى أسد والكسر لما فيه من الرقة يناسب البيئة الحضرية .

## الفعل الثلاثى الماضى الأجوف المبنى للمجهول

فى هذا الفعل ثلاث لغات :

١- إخلاص ضم أوله : قول بوع لغة بنى دبير وبنى فقعس وهما من فصحاء بنى أسد وتنسب أيضا إلى هذيل قال رؤبة :

ليت وهل ينفع شيئا ليت ∴ ليت شبابا بابوع ما فاشتريت

٢- إخلاص كسر أوله قبل بيع

وينسب إلى أهل الحجاز عدا هذيل كما سبق

٣- الإشمام :أى إشمام الكسر الضم

وينسب إلى كثير من بنى أسد وكثير من قيس .

وكل يناسب لما نسب إليه فإخلاص الضم يناسب البيئة البدوية والكسر يناسب البيئة الحضرية لما فيه من الرقة والإمالة تناسب البيئة البدوية لما فيها من الاقتصاد فى المجهود العضلى ما عدا الذى نسب إلى هذيل لأن بيئتها بيئة حضرية وقد مر بك هذا الموضوع فاعرف ذلك .

## خصائص بنيوية

١- هو وهى جميع العرب تخفف الياء مفتوحين فيهما وهمدان تشدد الياء فيها وأسد وقيس تجعل الواو والياء ساكنة .

جاء فى لسان العرب : أبو الهيثم : بنوا أسد تسكن هو وهى

٢- أسماء الإشارة : أولا بالمد عند الحجازيين وبالقصر عند أهل نجد الإتيان باللام بعد اسم الإشارة :

بنو أسد وقيس وربيعة يأتون بلام البعد اسم الإشارة الذى يكون للمفرد والجمع حال القصر قال شاعرهم :

أولا لك قومى لهم يكونوا أشابه ∴ وهل يعظ الضليل إلا أولالك.

وذلك إذا لم يدخل عليه هاء التنبيه وبنو تميم لا يأتون باللام مطلقا .

## صيغة فعل وأفعل

يذكر ابن منظور فى لسانه أن لهجة أسد أعصفت الريح وغيرهم عصفت .

## خصائص نحوية

١- بنو أسد يفتحون نون المثنى بعد الياء وهى لغة حكاها الفراء .

٢- وبنو أسد يصرفون ما لا ينصرف فيما علة منعه الوصفية وزيادة الألف والنون فيقولون لست بسكران .

٣- الحزف فى المنادى فهم يقولون : يا فل للواحد والاثنين والجمع والمؤنث وغيرهم يثنى ويجمع ويؤنث .

وهناك خصائص أخرى مرت عليك فيما سبق فلا داعى لذكرها هنا ويكفى هذه العجالة فى لغة بنى أسد .

## اللهجة المصرية

نعنى هنا باللهجة المصرية لغة الكلام وأحاديث الناس فى شئونهم العامة وأداة التخاطب بينهم فالناس فى أسواقهم ومعاملاتهم وأغانيهم وبين المرء وأهله وفى الحديث إلى أطفالهم وأجيالهم الناشئة فقد اتخذت اللهجة المصرية صورة خاصة مكونة من عناصر مختلفة تتفق مع الفصحى حينا وتختلف عنها أحيانا ، وليست اللهجة المصرية موحدة بل تشمل العديد من اللهجات فهذه اللهجة الصعيدية وتلك البحراوية وعلى رأس الجميع اللهجة القاهرية والتى سنحاول فى هذه العجالة أن نذكر طرفا من خصائصها باعتبارها اللهجة النموذجية للهجات المصرية الحديثة والتى احتفظت بعناصر من الفصحى إلى جانب صفات حديثة خاصة بها نمت واستقلت مع الزمن مما أدى إلى بعض التطور من ناحية الأصوات وصفاتها ومعانى الكلمات والتراكيب وتكوين الجمل .

**أولا: من ناحية الأصوات وصفاتها .**

١- تحول الأصوات المطبقة إلى الأصوات المستفلة فى كثير من الأحيان إذ نجد أن الصاد تصير سينا والضاد دالا والطاء تاء والظاء زايا مفخمة مثل: سقر فى صقر وسراط فى صراط ولسق فى لصق . ومثال تحول الضاد دالا : مدغ الطعام فى مضغ .

٢- تحولت فى معظم اللهجات المصرية بعض الأصوات العربية وهى الثاء والذال والظاء والقاف .

فلقد تحولت الثاء إلى التاء غالبا مثل التلات وقلبا إلى السين مثل سابت فى ثابت وتحولت نادرا إلى الدال مثل أندغ فأصلها ألثغ والتى تحولت إلى التغ ثم إلى أندغ فهنا تطورت كما رأينا للثاء إلى تاء ثم تحولت التاء إلى دال وأما صوت الذال فقد تحول إلى زاى وأحيانا إلى دال .

وأما صوت الظاء فقد تحول إلى الضاد مثل الضهر فى الظهر وعضم فى عظم أو إلى زاى مفخمة مثل ظالم والتى بالزاى المفخمة .

وأما صوت القاف فقد تحولت فى لهجة القاهرة إلى همزة وكذلك فى عواصم المحافظات الأخرى وخاصة الوجه البحرى وهذا النطق له أصوات قديمة – على ما قرر أنوليتمان فى بحثه من بقايا اللهجات العربية[1] .

وتحول صوت القاف فى الريف المصرى إلى نطق الجيم القاهرية .

٣– تحول كثير من الأصوات المجهورة إلى الأصوات المهموسة مثل نكش والتى أصلها نجش والتى أصلها من نجش الصيد بمعنى استثارة فلقد تحولت الجيم المجهورة إلى الكاف المهموسة .

**ثانيا: من ناحية المعانى :**

ولقد تطورت معانى الكلمات فى اللهجات المصرية نتيجة عوامل مختلفة ولسنا بصدد الكشف عن هذه العوامل وبيان فعلها ولكن يكفى أن نقول بأن

---

(١) بقايا اللهجات العربية القديمة مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٨ ص ١، ٢.

المجاز قد لعب دورا هاما فى تطور المعانى لبعض الكلمات فى اللهجات الحديثة مثل :"سفرة" والتى كانت تعنى طعام المسافر فأصبحت مرادفة "للخوان" .

ومثل "الهمج" والتى كانت تعنى البعوض وأصبحت تطلق على الفوضويين من الناس .

ومثل "جيب القميص" أى فتحة القميص فأصبحت مرادفة للكلمة العامية السيالة .

## ثالثا: من ناحية التراكيب والجملة:

١- الجملة الخبرية يغلب عليها الجمل الاسمية مثل النهار طلع الشمس طلعت البلح طاب التفاح ظهر ولكن دون مراعاة لظاهرة الأعراب .

٢- الاستفهام فى اللهجات المصرية الحديثة لا يعتمد على أداة معينة دائما يعتمد على التنغيم فيفرق بين الاستفهام والأخبار بنغمة مصاحبة للنطق بمراعاتها يفهم السامع المراد من الجملة أخبرية هى أم إنشائية .

٣- النفى فى اللهجات المصرية الحديثة يتم على الوجه الآتى :

**(أ) فى الجملة الخبرية :**

تنفى الضمائر بسبق "ما" واتصال اللاحق ش بآخرها مثل أنا تقول "مانش" . وأنت "ما انتش" وهو " ماهوش" .

أما الأسماء غير الضمائر فتقع الجملة بعد الأداء "مش" .

تقول " مش جاى .

ويتم نفى الفعل بوقوعه بعد "ما" واتصال اللاصقة ش فى آخرة إذا ما يكن متصلا بتاء المتكلم أو المخاطب ... الخ . فإذا كان متصلا بتاء المتكلم أو تاء المخاطب أو كاف المخاطب كان النفى كالآتى :

أكلت نفيها ما أكلتش ضربك ما ضربكش .

أما المضارع فيكون نفيه هكذا حيا كل نفيه ما حيا كلش . .

**(ب) فى الجملة الاستفهامية :**

عرفنا أن الاستفهام يعتمد على التنعيم ويكون النفى مع النغمة هكذا أنت ماكلتش فهذا الجملة الاستفهامية بعد الاستفهام المنفى .

## (جـ) جملة القسم:

يكون نفى القسم بما وحدها ففى نفى جملة الخبر تقول أنا ما كلتش وفى القسم تقول والله أنا ما كلت.

وغير ذلك كثير من الظواهر اللغوية التى توجد فى اللهجة المصرية المعاصرة والتى يرجع إلى عوامل كثيرة ومتشابكة أدت إلى هذا التطور والتغير وقد وقعت على عناصر اختلاف النطق فى العالم العربى ووسائل توحيده فى اللغة الفصحى لغة القرآن الكريم .

**(والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله )**

(تم بحمد الله )

المؤلف

# محتويات الكتاب


صفحة

لمحة تاريخية عن اللغات السامية ..... ٥

بين اللغة واللهجة ..... ٧

اللهجة : اشتقاقها ، تعريفها ..... ١٦

الصفات الصوتية التى تؤدى إلى اختلاف اللهجات ..... ١٩

علاقة اللغة واللهجة بالصوت ..... ٢٢

الظواهر اللغوية التى تدل على انحدار طائفة من اللغات من أصل واحد ..... ٢٥

عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة ..... ٤٥

وحدة النطق فى العالم العربى ..... ٥١

عناصر اختلاف النطق فى العالم العربى ..... ٥٥

وسائل توحيد النطق فى العالم العربى ..... ٥٩

صراع اللهجات العربية الباقية وسيادة لهجة قريش ..... ٦٩

معالجة القدامى للهجات ..... ٧٤

مقياس الفصاحة لدى العلماء ..... ٧٥

أدلة تعدد اللهجات ..... ٧٩

مظاهر اختلاف اللهجات ..... ٨٣

أولا: الفتح والإمالة ..... ٨٤

ثانيا : الفك والإدغام ..... ٨٧

ثالثا : الإبدال ..... ٩٠

رابعا: ما يتعلق بالإعراب ..... ٩٨

خامسا: الاختلاف فى أوجه البناء والبنية ..... ١٠١

سادسا: بين الإعراب والبناء ..... ١٠٥

سابعا : الزيادة والنقصان ..... ١٠٦

ثامنا: هيئة النطق ..... ١١١

تاسعا: تعدد المعنى للفظ واحد ..... ١١٤

لهجة بنى أسد ..... ١٣٦

اللهجة المصرية ..... ١٤٥

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٨/٤٢٦٨

الطبعة الثانية

دار البُشْرَى للطباعة والنشر
٧٠ محمد فريد أبو حديد – الحى السابع
م. نصر – القاهرة